طلعنا عالحريّة
حرية ، كرامة، مواطنة

في السفر..

العدد 98
2021 / 9 / 17
مجلة شهرية، سياسية، فكرية، ثقافية، مستقلة

في السفر..

افتتاحية بقلم أسامة نصّار

يتكلم دون "شازلونة" يستلقي عليها كما في الأفلام. كانت جلسة العلاج النفسي عبر الانترنت.. ولم يكن الطبيب النفسي بنظارة مدورة ولحية مشذّبة، ولم يدخن الغليون، لكنه حافظ خلال كل الجلسات على صوت هادئ ودود ولغة رصينة..

ثلاث قارّات وعدة محيطات كانت تفصل بين الطبيب المعالج و(المريض) الذي يقاوم مسّ الجنون.. وقصف الطيران ووابل البراميل وخنق الأسعار والحصار.. والسارين!

جلسة.. اثنتان.. ثلاث..

زولوفت.. بروزاك..

شهيق.. زفير..

لم تبد جملة الطبيب الوقور متناسبة مع الاحترافية العالية التي تلبّسها خلال الأسابيع السابقة: "ألم تكن أرضي واسعة فتهاجروا فيها.."، لعلّه قدّر أن اقتباس آية من القرآن سيضفي بعض القداسة والروحانية على جلساته.. لكن الاقتباس ختم سلسلة الجلسات وأوصل رسالة غير مرغوبة.

...

رغم ظروف عاتية، تمسّك كثير من السوريين بقرار البقاء في بلدهم، وبعضهم أضطر للبقاء لانعدام الخيارات الأخرى.

لا نتكلم فقط عن السنوات العشر الأخيرة، وعن الحرب والتهجير والإخفاء القسريين والتجنيد الإجباري وداعش وباقي البلاوي التي ألمّت بالبلد وأهله.. لطالما كان السفر والاغتراب ظاهرة سورية ملحوظة.. الجميع يسافرون، ويتغربون ويكتبون الأشعار والأغاني عن الرحيل والفراق والغياب..

لكن المسألة عندنا أكثر من السفر للعمل أو الدراسة أو العلاج. ولا يبدو أننا نسافر لتلك الأسباب التقليدية.. بل إننا (نطفش) متذرعين بها أو حتى مصرّحين بسبب رحيلنا (الطفش)!

لماذا يسافر (أو يطفش) السوريون؟ ولماذا لا يسافر بعضهم؟ وكيف ينظر من طفش إلى من بقي؟

وفي سياق السفر، تشكلت ثنائية، مشحونة في أغلب الأحيان، عن (الداخل والخارج) وصار الحديث عن من أفضل مِن مَن، ومَن يعاني أكثر مِن مَن، واحدة من جدلياتنا الكثيرة..

يروى بأن قائداً رومياً سأل خالد بن الوليد في أحد فواصل معركة اليرموك: "هل لمن يدخل في الإسلام اليوم مثل ما لكم من المثوبة والأجر؟" وأجاب خالد: "..وأفضل"، فتعجب الرومي: "كيف وقد سبقتموه؟" ليردّ خالد: "لقد عشنا مع رسول الله، ورأينا آياته ومعجزاته، وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يسلم في يسر، أما أنتم يا من لم تروه ولم تسمعوه ثم آمنتم بالغيب، فإن أجركم أجزل وأكبر إذا صدقتم الله سرائركم".

بعيداً عن مزاودة "تحت المكيفات، ومعارضة الفنادق، وارتشاف النسكافيه.."، وبنفس منطق خالد، ربما أمكن مقاربة انخراط مغتربين ومغتربات خارج سوريا في العمل الثوري، وبذلهم/نّ المال والجهد والأعصاب..

فكيف لمن لم يبحّ صوته في مظاهرة حيّة على بعد خطوة من جنود القمع والشبيحة أن يحافظ على حماسه؟

..في المظاهرة، يسري تيار كهربائي في المتظاهرين ويحيلهم جسداً واحداً هاتفاً.. فكيف تصل الكهرباء إلى أصدقائهم عبر اليوتيوب؟!

هل ينقل فيسبوك بقعة الدم على قميص الناشط الذي يسعف للمشفى الميداني زميله المصاب برصاص جنود الإجرام؟

يبدو أن التواصل حصل، عبر وسائل التواصل أو بطرقه الغامضة.. ولكن بقي السوريون مغتربين حتى وهم داخل بلدهم؛ فنحن، كما كتب الراحل محمد الماغوط، من ضيعة اسمها غربة!

طلعنا عالحريّة

شهرية ثقافية، اجتماعية، سياسية، تعنى بالشأن السوري

www.freedomraise.net

- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها أولاً ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير
- المجلة غير ملزمة بنشر كل ما يردها من مواد

رئيس التحرير أسامة نصّار

نائب رئيس التحرير ليلى الصفدي

تفاعل معنا عبر صفحاتنا على الإنترنت

facebook.com/rising4freedom

twitter.com/freedomraise

freedomraise@gmail.com

المدير الإداري	الغلاف	كاريكاتير	أمن رقمي ومحاسبة	زملاء مختطفون في سوريا
معتصم أبو الشامات	سمير خليلي	سمير خليلي / هاني عبّاس	وائل موسى	رزان زيتونة - ناظم حمادي

البحث عن الحرية من فوهة نفق

أحمد أبو ارتيمه - غزة

حين تفقد الشعوب الواقعة تحت الاستعمار كلّ عناصر قوتها المادية، فإنه لا يتبقى أمامها إلا سلاح العزيمة لتواجه به محاولات القوة المستعمرة إبادتها، هذا حدث بتكرار في التاريخ، وهو ما يحدث الآن في فلسطين التي يواجه شعبها المشروع الصهيوني الاستعماري.

تنحاز موازين القوى المادية لدولة الاستعمار الصهيوني "إسرائيل" على نحو فادح، إذ تتلقى هذه الدولة دعماً سياسياً وعسكرياً واقتصادياً غير مشروط من المجتمع الدولي الرسمي وعلى رأسه الإدارة الأمريكية، ويمنح التفوق العسكري والأمني والتقني لإسرائيل فرصة التحكم الكامل في الفلسطينيين ما بين البحر والنهر وإحباط أي محاولة منهم للمقاومة.

كذلك تحظى "إسرائيل" ببيئة إقليمية داعمة، تتمثل في الأنظمة العربية غير المنتخبة، والتي ربطت مصيرها بالمحافظة على الاستقرار مع إسرائيل، بسبب اعتقاد تلك الأنظمة أن صحوة شعبية فلسطينية ستلهم الشعوب الخاضعة تحت حكمها أيضا للحركة، وهو ما سيهدد مصالحها، وكذلك بسبب اعتقاد تلك الأنظمة أن إرضاء "إسرائيل" هو مدخل لإرضاء الإدارة الأمريكية، لذلك سارعت تلك الأنظمة إلى التطبيع مع "إسرائيل".

في المقابل فإن الفلسطينيين يتعرضون لحصار مشدّد من قبل الأنظمة العربية، ويحرمون من الحلفاء الإقليميين الذين من شأنهم أن يوفروا لهم وسائل الدعم والإسناد.

من عناصر قوة "إسرائيل" المادية أيضاً وجود السلطة الفلسطينية التي تمارس التعاون الأمني مع سلطات الاحتلال في الضفة، وتمثل جداراً عازلاً يؤخر اندلاع انتفاضة شعبية شاملة، يواجه فيها الشعب الفلسطيني المحتل مباشرة.

في ظلّ كل عناصر الاختلال هذه التي توفر بيئة مريحة لدولة الاستعمار وتمثل سيفاً مسلطاً على الشعب الفلسطيني صاحب الحق، فماذا تبقى في وسع الفلسطينيين أن يفعلوه؟

لم يبقَ أمام الفلسطيني إلا أحد خيارين، إما التكيف مع الهزيمة وإعلان الخضوع لإرادة المستعمر الصهيوني، وإما أن يقول "لا" ويتحمل ثمن موقفه الرافض دون أن يمتلك أي عامل قوة سوى قوة إيمانه بحقه وقوة عزيمته.

في الأسابيع القليلة الماضية قال الفلسطيني "لا" بصوت عالٍ مرتين في حدثين شديدي الدلالة الرمزية.

الحدث الأول في غزة في 21 آب/ أغسطس الماضي، وهو نجاح شاب فلسطيني في إصابة قناص إسرائيلي متحصن وراء الجدار العازل أثناء تظاهرة نظمها الفلسطينيون، في ذلك اليوم أصيب 41 متظاهراً فلسطينياً برصاص القناصة الإسرائيليين وتوفي اثنان من المصابين الفلسطينيين لاحقاً متأثرين بجراحهما، قبل أن يأتي شاب فلسطيني ويخرج مسدسه ويطلق الرصاص من فوهة صغيرة في الجدار المحصن باتجاه القناص الذي قتل بعد تسعة أيام متأثراً بجروحه.

والحدث الثاني في 6 أيلول/ سبتمبر، وهو اكتشاف نفق بعد تمكن ستة من الأسرى الفلسطينيين المحكومين بالمؤبد في سجن "جلبوع" مشدّد الحراسة شمال فلسطين المحتلة من حفره بسرية كاملة طوال الأشهر الماضية، بالرغم من انعدام الإمكانيات داخل السجن والرقابة الأمنية الإسرائيلية المشددة، وقد بقي الأسرى خارج السجن بضعة أيام قبل تمكن سلطات الاحتلال من إعادة اعتقال أربعة منهم. ولا يزال اثنان منهم مطاردين من جيش الاحتلال وأجهزته الأمنية حتى لحظة كتابة هذا المقال.

هذان الحدثان لقيا تفاعلاً كبيراً من الجمهور الفلسطيني، وكذلك المناصرون للحقوق الفلسطينية في العالم، وساهما في تأجيج الروح المعنوية الفلسطينية بشكل ملحوظ.

ما المعنى الذي تضمنه هذان الحدثان؟

المعنى الأهم الذي يشير إليه هذان الحادثتان هو قوة العزيمة الفلسطينية، وقدرة الشعب الفلسطيني على استثمار أشد الوسائل بساطة في مقاومة الاحتلال والإعلان عن رفض الاستسلام لمشيئته.

هناك رمزية مكثفة في كلا الحدثين، فالفلسطيني مهما اشتدت حصانة الجدار الذي يحاصره فإنه لا ييأس من محاولة اختراقه، ويكفي ثقب ضئيل في هذا الجدار من أجل أن يرسل الفلسطيني من خلاله صوته أو رصاصته، التي يعلن من خلالها الندية للقوة الاستعمارية المدججة، هذا ما حدث حرفياً في قتل القناص الإسرائيلي على سياج غزة من فوهة صغيرة جداً في الجدار، أبقاها الجيش ليطلق الرصاص من خلالها نحو الفلسطينيين.

نفق الحرية كان أيضاً مشهداً غنياً بالرمزية؛ فالأسرى الفلسطينيون داخل سجون الاحتلال الإسرائيلي محرومون من أبسط الوسائل العادية التي يستخدمها الناس، وهم مراقبون بدقة من قبل سلطة مصلحة السجون الاسرائيلية، وهناك حملات تفتيش يومية يتعرضون لها، وقبل ذلك فإن بناء السجن محصن بالخرسانة والقضبان الحديدية، كل هذه العوامل لم تقتل إرادة المقاومة في نفوس الأسرى، وولدت العزيمة في عقولهم أفكارًا لنحت الصخر، بالمعنى الحرفي لكلمة نحت الصخر، هم يعلمون أن المهمة صعبة، لكن المحاولة خير من الاستسلام للموت داخل السجون الإسرائيلية.

كان اكتشاف نجاح ستة من الأسرى في حفر نفق من غرفتهم إلى خارج جدران السجن فضيحة مدوية لصورة الهيبة الإسرائيلية.

إسرائيل حريصة على إبقاء صورة التفوق، وأنها دولة لا يمكن هزيمتها في الوعي الفلسطيني والعربي، لأنها تخشى إذا اهتزت هذه الصورة أن يلهم ذلك الشعب الفلسطيني بمقاومتها، لذلك فإن الفضيحة لإسرائيل أكبر من مجرد خروج ستة أسرى من السجن. إن الخسارة الإسرائيلية تتمثل في اهتزاز صورتها الردعية، واكتشاف الناس أن هناك مواطن ضعف يمكن التسلل من خلالها.

في نفق الحرية كانت الدلالة الرمزية حاضرة بقوة أيضًا، أن الفلسطيني قادر على النحت في الصخر من أجل كسر إرادة عدوه، وأن الفلسطيني لا يمشي في النفق وحسب بحثاً عن الضوء في نهايته، بل إنه هو الذي يبادر إلى حفر النفق بأظافره، وهو ممتلئ بالإيمان بأن هناك نوراً في نهاية النفق بعد أن يتم حفره.

عززت حادثة النفق تذكير الفلسطينيين بالذات الوطنية، فقد امتلأ كل بيت فلسطيني بمشاعر الفخر وهو يتابع أخبار نجاح الأسرى في حفر نفق ومعانقة شمس الحرية رغم إرادة السجان، ثم بات كل بيت فلسطيني حزينا بعد بضعة أيام حين تمكن جنود الاحتلال من إعادة اعتقال بعض هؤلاء الأسرى.

تمنى كل فلسطيني لو تفشل "إسرائيل" في الوصول إلى الأسرى، لكنها ليست بطولة كبيرة حققتها "إسرائيل" باعادة اعتقالهم، في ضوء سيطرتها الكاملة أمنياً وتكنولوجياً وعسكرياً، والانتصار الذي انتزعه الأسرى هو انتصار معنوي تمثل في إعلان قوة العزيمة الفلسطينية وإهانة كبرياء "إسرائيل".

إن الدرس الأهم الذي نتعلمه من أحداث الأشهر الأخيرة في فلسطين هو أن إرادة المقاومة الفلسطينية أقوى من كل السجون والجدران التي يشيدها المستعمر.

"مركب حلم يبحر ولا ينبل"
حوار مع الفنانة سهير شقير

حاورتها ليلى الصفدي

"لصوتها شهوة القرميد فإذا ما غنت أصبحت بيوتنا مسقوفة" بهذا الوصف يحاكي أحد الشعراء صوتها، سهير شقير صاحبة الصوت الآسر والشجي؛ صوت لا يمكن أن تسمعه على عجالة، لأنه سيأخذك للأعماق أو يحلق بك عالياً، يمسك بتلابيب القلب ويلامس جدران الروح. الفنانة سهير شقير التي وصلت السويد قبل ست سنوات في رحلة شاقة حاذت فيها الموت مراراً كآلاف السوريين، تحاول التأقلم في بلاد المهجر، وتعاود عيش حلمها الموسيقي الذي تعثر في محطات كثيرة، تصدر مؤخراً مجموعة غنائية جديدة ومصورة بمرافقة فرقة سويدية، تضم المجموعة أغنيات من تأليفها نصاً ولحناً، بالإضافة إلى أغنية من تأليف وتلحين شقيقها الفنان الكبير سميح شقير. وبمناسبة هذا الإصدار الجديد كان لنا هذا الحديث حول مجمل تجربتها الفنية والإنسانية:

هل تجدين أن مسيرتك الفنية سارت بمسارها الطبيعي كفنانة تمتلك صوتاً ساحراً وموهبة متميزة؟

على العكس تماماً، مسيرتي الفنية كانت متعثرة لسنوات طويلة ولعديد من الأسباب، إن كنت سأذكر بعضاً منها فلا بد أن أبدأ بالذائقة الفنية المتردية التي سيطرت على نهج ثقافي فني كامل، وشارك في هذا التردي كل من استسهل العمل الفني واتجه به نحو مسارات لا تساهم بترقية الذائقة الفنية لدى الشريحة الأوسع من الجمهور. وسبب آخر هو عدم نمطية ما أقدمه، واعتبار هذا النمط الفني حكراً على النخبة، وهذا الأمر يحمل حدي سكين؛ فهو جارح في كلا الحالتين. من الأسباب أيضاً أنني كنت أغنى مع شقيقي الفنان سميح شقير لسنوات طوال، وهذا ما وضع تلك التجربة الغنائية برمتها بين قوسين دائماً، ولطالما ضاقت تلك الأقواس علينا لأسباب كثيرة لا أودّ الخوض فيها، لكن كل من يمتلك ذاكرة لتجربة سميح شقير منذ انطلاقتها في الثمانينات وحتى هذه اللحظة لا بد أن يدرك الكثير من تلك الأسباب.

ربما اختلفت ظروف البلد والمجتمع في السنوات الأخيرة، لكن تبدو ظروفك خاصة حتى مما قبل الثورة، هل أنت الآن أو كنت جزء من المشهد الفني السوري؟ هل لك أصدقاء "من الوسط"، وهل فعلاً قامت التوجهات السياسية والفكرية بفرز الفنانين حتى قبل الثورة؟

سألتني أكثر من سؤال بسؤال واحد، سأحاول الإيجاز، عن الظرف الفني ما قبل الثورة أو هل كنت جزءاً من المشهد الفني السوري أظن أنني كنت ضمن هذا المشهد، ولكن بكثير من التحفظ، فأنا كنت ضمن تجربة فنية ما كان بالإمكان تهميشها، وبالتالي أخذت هذا المكان بكثير من الحذر والخصوصية إن جاز لي التعبير. أما عن الأصدقاء من الوسط الفني، فنعم، حظيت بالكثير من العلاقات الودية مع معظم من ينتمون للوسط الفني وبأقل ما يمكن من البروباغاندا، على عكس ما يفعله معظم المنخرطين بهذا الوسط في أيامنا هذه. أما حول سؤالك هل فعلاً قامت التوجهات السياسية والفكرية بفرز الفنانين حتى قبل الثورة، فنعم بالتأكيد، وهذا الفرز وإن بدا واضحاً جداً بعد الثورة، إلا أنه كان موجوداً وبطريقة مستفزة، ومن هذه النقطة بالذات برزت الشللية أو التكتلات الفنية والمحسوبيات، والكثير من المطبات التي نعلمها جميعاً، ولطالما تناولناها حتى في الدراما.

نادراً ما ينجح شخصان موهوبان من نفس العائلة، لكن أثبتت سهير من أول ظهور لها على مسرح الحمراء بدمشق أن لها حضوراً وشخصية فنية مستقلة بجانب الرائع سميح، كيف تقيمين تجربتك الفنية بجانب سميح أو بدونه؟

الحديث عن تجربتي مع سميح حديث يطول، ففيها كانت البدايات التي شكلتني تماماً فنياً وصقلتني وشكلت ذائقتي ووعيي الفني، إلا أني لم أقدم فيها ما كان يجب أن يقدم. وأقصد هنا كثافة الأعمال أو كثافة الظهور على المسرح أو التسجيلات الصوتية، وذلك لكثرة المعوقات، منها اللوجستية ومنها الشخصية والعامة، لكنها بدون شك كانت تجربة ثمينة إلى الحد الأقصى، وهي التي أكسبتني هذا الشكل الفني الذي أظهر به اليوم.

> بقدر ما أبعد الاستبداد أرواحنا عن الفرح إلا أنه بذات الوقت حفر بئراً من ألم لا زلنا نشرب منه إلى اللحظة

الغناء في ظل الاستبداد.. الغناء في ظل الحرية..
طالما رسم الفن أحلامنا في أوطاننا الحرة وكان جناحنا للتحليق في ظل الاستبداد، كيف يكون الغناء والإبداع في بلاد الحريات؟ حدثينا عن تجربتك في الألبوم الأخير.

الغناء في ظل الاستبداد قاد صوتي ليظهر ما في روحي من ألم، ولربما وبحسب رأيي أكثر ما يميز المغني إحساسه العالي والعميق بالكلمة، وقدرته على تجسيد هذه المشاعر، وبالتالي بقدر ما أبعد الاستبداد أرواحنا عن الفرح إلا أنه بذات الوقت حفر بئراً من ألم لا زلنا نشرب منه إلى اللحظة، حتى وأن كنا في بلاد الحريات، للألم ذاكرة لا تنسى. هنا في بلاد المهجر والمهجرين سقف الحلم أعلى والتحليق أبعد. لكنني لازلت أحمّل كل أغنياتي وصوتي ذلك الحزن العالق على حواف الوجدان، ولا قدرة لي على تخطيه إلى اللحظة، مع أني أؤمن بأننا يجب أن نغني للفرح والحياة والحرية وكل ما هو جميل، لكنها الذاكرة تشد صوتي لقعر ذاك البئر مجدداً.

مثل آلاف السوريين كان لسهير رحلة شاقة مع اللجوء.. حدثينا عنها..

أما عن رحلتي إلى أوروبا فهي على الرغم من قسوتها ومحاذاة الموت مراراً وتكراراً، لكنها ليست إلا حصتي من الألم السوري العظيم، وليست إلا نذراً يسيراً مما تعرض له شعب كامل من كل صنوف الألم والفقد، وها أنا أعيش في السويد منذ ست سنوات خلت، ومستمرة بمحاولات تذليل الصعوبات اليومية والحياتية هنا، والتي أقل ما أسميها بأنها صراع يتلوه صراع لإثبات الذات.

كان لك تجربة في الإعلام في الخليج العربي، كيف يمكنك وصفها أو تلخيصها؟

بدأت كإعلامية في الإمارات منذ أكثر من 17 عاماً، بدأت كمذيعة إذاعية، ثم مذيعة أخبار، ثم معدّة برامج تلفزيونية، ثم عملت في الإنتاج في تلفزيون أبو ظبي، كانت تجربة ممتعة وهامة مهنياً، لكني خلالها تراجعت بشكل كبير عن الغناء لوقت طويل، لكثرة انشغالي في العمل الإعلامي. ومع أن خروجي من الإمارات كان قسرياً إلى حدّ كبير بعد الثورة بسبب موقفي من الكارثة الإنسانية التي ألمت بالشعب السوري، إلا أنني تنفست الصعداء حين وصلت إلى السويد، وعدت مجدداً إلى صوتي وهاجسي وحلمي الذي يفقدني النوم الهادئ في معظم لياليّ.

منذ انطلاقك، نفهم غيابك (أو تغييبك) عن تلفزيونات وإذاعات الأنظمة العربية، والآن بعد الربيع العربي لم يختلف حال ظهورك كثيراً. كيف نفسر ذلك؟

نحن في زمن الميديا، وللميديا أدواتها ومنافذها ومفاتيحها، ووجود مؤسسة داعمة أو جهة ما تقوم بذلك الجهد عني هو أمر ضروري للتكثيف من هذا الظهور. لكن هذا الموضوع يأتي بالتراكم، سيما هنا في أوروبا، وهذا ما أحاول فعله حالياً. وسبب أخر يحضرني الآن، أو هو ربما سرّ أودّ إفشاءه، هو أنني كسولة جداً بكل ما يتعلق بالظهور في الميديا، ولا أعتبره ضرورة مع أنه كذلك، ولا أبذل الجهد الحقيقي لتدارك هذه الفجوة. ولكن ربما هذا ما يكسبني الوقت والتركيز أكثر حالياً لحياكة أغانٍ جديدة بنصها ولحنها، ومتابعة الموزع وركوب القطارات من مدينة لأخرى للقاء موسيقيين رائعين، والحديث الطويل عن الموسيقى، وفرد أرواحنا على السلم الموسيقي، والقبض على لحظات فرح حقيقي بعد اكتمال كل عمل.

السوريون في تركيا..
تحريض ضدهم ومغالطات لم تعد تُحتمل!

حسن عارفة

يكاد لا يمر أسبوع في هذه الفترة، إلا ويظهر للعلن صوت تركي يهاجم السوريين في تركيا، يهددهم، يتوعدهم، ويَعِدهم برجوع قريب إلى بلدهم، أو بالمزيد من القيود عليهم! تميز شهر آب الماضي بحرارة لم يشهدها هذا الشهر بالسنوات الماضية، أصبحت درجة الـ40 مئوية شيئاً عادياً في مناطق جنوب تركيا وسوريا، ترافق ذلك مع سخونة بالأحداث التي كان محورها السوريون بتركيا، بدءاً من حادثة الاعتداءات على ممتلكات ومحال لسوريين في العاصمة التركية أنقرة، على خلفية مقتل تركي من قبل لاجئ سوري، مروراً بتصريحات بعض رجالات المعارضة التركية، الذين وضعوا في رأس قوائم برامجهم الترويجية للانتخابات ملف عودة السوريين إلى بلدهم. وكانت من أبرز مشاهد هذه الموجة، قرارات رئيس بلدية مدينة "بولو" التركية "تانجو أوزجان" بمضاعفة رسوم فواتير المياه على السوريين 10 أضعاف، وتصريحات رئيس "حزب الشعب الجمهوري CHP" المعارض "كمال كليجدار" بأنه سيعيد السوريين خلال سنتين لبلادهم لو وصل حزبه للحكم. فيما كان لعضوة حزب "الجيد İYİ " المعارض "إيلاي أكسوي" تغريدة مغالطات حول منطقة الفاتح التي وصفتها بأنها "تعرضت للغزو والاحتلال وهي منطقة قذرة"، لتأتي التغريدة ضمن تدفق كبير من قبل العضوة مليء بالمغالطات والرسائل التحريضية ضد السوريين، فحسابها على التويتر يُعد نموذجاً للعنصرية السياسية والتطرف ضد اللاجئين، وخطاب الكراهية البائس. ولا تكفي صفحات المجلة أو أي موقع إلكتروني للرد على أخطاء العنصريين ومغالطاتهم، ورغم أن هذا البلد يستضيف أكثر من 3.6 مليون سوري/ة، وفتح أبوابه للهاربين من نظام بشار الأسد وأشباهه، ورغم عدم نكران ما قدمته تركيا للسوريين، يجب أيضاً توضيح بعض الحقائق.

يعيش اللاجئون السوريون في تركيا كضيوف، يحملون بطاقة اسمها "بطاقة الحماية المؤقتة" أو "الكملك" تمنحها لهم السلطات التركية معتبرة إياهم ضيوفاً وليسوا لاجئين، لها إيجابيات، حيث يحصل حاملها على معظم حقوق المواطن التركي من طبابة مجانية بمشافي الدولة، وحق الدراسة وغيرها، فيما يتقيد حاملها بأي حركة، فلا يستطيع مغادرة مدينته التي يقيم فيها دون إذن سفر، وهو ممنوع من السفر خارج تركيا، وكل مدة زمنية يكون بحاجة لتحديث بياناته، وبالتالي، العودة لحياة الطوابير التي اشتهر بها نظام الأسد، وإن بصورة مغايرة. وبعيداً عن "الكملك" بسلبياتها وإيجابياتها، ثمة سوريون آخرون يحملون بطاقات إقامة جرت تسميتها بين السوريين بالـ"الإقامة السياحية"، تسمح للسوري بالتجوال بين المدن والولايات دون إذن سفر، أو السفر خارج تركيا، لكنها تشترط دخول السوري لتركيا عبر المطارات، ومرتبطة بصلاحية جواز السفر؛ ما يعني أن مصير حاملها بيد النظام السوري، والقنصلية السورية الكارثية بإسطنبول، فيما استفاد سوريون وسوريات من الجنسية التركية الاستثنائية التي حصلوا عليها.

وفي ظل التحريض ضدّ الوجود السوري في تركيا، تغيب عن، أو تتناسى تلك الأصوات، الحقائق المذكورة سابقاً في المقال حول أوضاع السوريين، أو الدراسات التي تظهر من جهات عالمية، توثق ما يواجهه السوريون بتركيا، كالدراسة التي أصدرها "المركز الدنماركي للاجئين"، في آب /أغسطس الماضي بعنوان "اللاجئون السوريون.. تصورات حول سوق العمل الرسمي". الدراسة مليئة بالأرقام الهامة، شملت السوريين/ات في مدن أورفة- كيليس- هاتاي- كهرمان مرعش جنوبي تركيا، حيث أكدت أن السوريين ما زالوا يواجهون قيوداً بالوصول لسوق العمل الرسمي، ونحو مليون سوري يعملون بشكل غير رسمي دون حماية وحقوق قانونية، ما يضطرهم للعمل بوظائف منخفضة الأجر، تميل بحسب الدراسة إلى "الاستغلال الشديد وتتطلب جهداً بدنياً كبيراً". وأوضحت أن السوريين يعملون أكثر من نظرائهم الأتراك وبأجور أقل، فكل 3 من 4 سوريين يتقاضون أقل من الحد الأدنى للأجور بالساعة في تركيا، و 45 بالمئة من الحاصلين على بطاقة الحماية المؤقتة المشمولين في عينة البحث، يعيشون تحت خط الفقر! هذه الأرقام تتناسب مع ما طرحته منظمة "اليوم التالي" السورية العاملة بتركيا، خلال تقرير بعنوان "اتجاهات اللاجئين السوريين في تركيا نحو العودة" اعتمد على دراسة عينة من السوريين المقيمين في مختلف الولايات التركية، جاء فيه أن " معظم السوريين وصلوا بين عامي 2013 2014- ، معظمهم يعيش ضمن عائلات في مساكن مستأجرة، 52% منهم يتقاضون أجوراً تقل عن الحد الأدنى للأجور في تركيا".

ومع تغافل هذه الأرقام والواقع، يتسع خطاب الكراهية ضد السوريين، وتضيق الأحوال عليهم، حتى أصبح من الطبيعي، في غازي عنتاب مثلاً، أن يتعرض السوري الباحث عن منزل للإيجار، للكثير من رافضي تأجير البيوت للسوريين الشهيرين بجملة "سوريالي يوك"، أو لمن يقبلون تأجير السوريين مع ابتزاز يتمثل برفع قيمة الإيجار الشهرية بشكل كبير، استغلالاً لحاجة السوري للمنزل. وفي عام 2020 نشر "مركز توثيق الانتهاكات في سوريا" ورقة بحثية بعنوان "خطاب الكراهية والتمييز العنصري تجاه السوريين في تركيا"، رصدت ربط المشاكل بالتواجد السوري، كتراجع الاقتصاد مثلاً، ودور المعارضة السورية الهزيل بتصحيح الصور النمطية والمغالطات. وجاء في الورقة نتائج لاستطلاع أجراه "مركز الدراسات التركية في جامعة قادر هاس"، منها أن نسبة الرفض التركي للاجئين السوريين وصلت إلى الـ67% عام 2019 بعدما كانت 57% في الـ2016، واختتمت الورقة بتوصيات لتحسين أوضاع اللاجئين السوريين في تركيا، من قبيل "تيسير الوصول للعدالة لكافة اللاجئين، العمل على توضيح حقوق اللاجئين على الإعلام التركي، إنهاء حالة الحماية المؤقتة وتحويلها لحماية دولية (لجوء) أو إيجاد قانون يحقق الحماية للاجئ وفق معايير دولية، وغيرها من التوصيات".

وهنا، لا يدرك العنصريون وأصحاب خطاب الكراهية، أن قسم كبير من السوريين في تركيا، جاؤوا مجبرين، وهذا ما يؤكده تقرير "اليوم التالي"، الذي خلص إلى أن "69 % من مجتمع البحث جاؤوا إلى تركيا لأنها كانت الخيار الوحيد المتاح لهم، وهذا السبب الأبرز لاختيار تركيا بلداً للجوء، و74% منهم يفضلون خيار العودة لسوريا".

إذاً، تفاصيل كثيرة لا يتم الحديث عنها من قبل المعارضة التركية، وحتى من قبل الإعلام التركي عموماً، لتوضيح بعض المغالطات حول اللجوء السوري في هذه البلاد، الذي أصبح ورقة خارجية بيد أنقرة تهدد فيها أوربا بفتح الحدود، وورقة داخلية تلوح بها المعارضة التركية قبيل أي حدث انتخابي، لكن، بعيداً عن تحميل المسؤولية للحكومة التركية والأصوات التحريضية والعنصرية من معارضيها، وللمخطئين من اللاجئين السوريين، يطفو على السطح الفراغ الواضح للمعارضة السورية المقيمة في تركيا، الحليفة لأنقرة أو الخاضعة لها إن صح القول، هل فكرت يوماً بتشكيل لوبي يواجه خطاب الكراهية بالأرقام والبراهين الكثيرة، أم أن عقلية الخوف من الأسد انتقلت إلى خارج الحدود، وأصبحت متلازمة دائمة؟!

بين آلام الحاضر وأسئلة الغد

يوسف صادق

حينما يحلم الإنسان ويتخيّل مكاناً آخر غير الذي يعيش فيه، فهو في غربة، هي الوجه الآخر المُعتم لانتمائه، وعدم تحقّق أسس الانتماء ينزع عن السلطة الحاكمة شرعيّتها.

فكيف ستكون هذه الغربة إذا كانت السلطة هي مَن تقوم بتهجير مواطنيها؟

قد لا نحتاج لهذا التقديم لإثبات عدم شرعية نظام حكم مجرم. لكن السؤال عن التهجير والاغتراب هو السؤال عن عوامل تحقّق أُسس الانتماء، لماذا يحلم السوريّ بالهجرة رغم ارتباطه بمكانه؟ ما الذي يريده فعلا؟ وما العوامل التي تدفع برغباته المتناقضة؟

التقديم يطرح علينا أسئلة الغد، بقدر ما نعي شقاء الحاضر؛ شقاء الغربة والتهجير.

البحث عن الذات الحضارية ليس جديداً علينا، منذ أيام جبران خليل جبران ورفاقه، والبحر يحمل الأحلام، طالما الأرض تحمل الطغاة. من سفربرلك إلى آخر، حتّى بات تاريخنا، تاريخ الاغترابات، والنيل دائماً يسير نحو الشمال كما أكّدها الطيب صالح، وموسم الهجرة مواسمٌ، والبحث عن تربة تعيد الخصب لفروع الأشجار المقطوعة، هو مطلب الذات الحضارية الضائعة.

اغتراب عن النفس، حينما يقف الإنسان عاجزاً أمام ما يسعى إليه. اغتراب عن تاريخ يقيّدنا ويشدّنا للماضي بعاداته وتقاليده ومُثُله، يجعلنا نُسخاً مشوّهة عن ذواتنا وعمّا هو جميلٌ حتى في ذاك التاريخ. اغترابٌ عن أسس تحقيق الذات وفاعليتها العامة، المدنية والسياسية، حينما لا تكون المشاركة بالشأن العام إلّا عبر تقديم الولاءات والطاعة والهتاف للزعيم.

الاغتراب والهجرة هما الوجه الآخر للانتماء، فلو توافرت أسس الانتماء لكان الحلم هو السعي للأفضل عبر إمكانيات الوجود ذاته.

هنا معضلة السوريّ بين حلمه بسوريا وطناً للجميع وللمستقبل، وبين انتمائه لحلم ضبابي لم يستطع الساسة ولا الأحزاب ولا التيّارات مسح الغبش من نافذةٍ يحاول الإطلال منها، فكان أن حمل وطنه في حقيبة وردّد خلف درويش: "كلّ قلوب الناس جنسيتي.. فلتسقطوا عنّي جواز السفر"، وكأنّ الزمن تلاشى بين هجرات شبابنا وهجرات جبران ورفاقه.

بينما السلطة غير الشرعيّة تحاول فتح الأبواب وآلات حربها تقول: إمّا أن تبقوا هنا عبيداً أو ترحلوا، أو مصيركم خلف الجدران العالية. معضلة السوريّ هويّته التي اختارها في هذا المكان وهو يردّد: "وطني ليس حقيبة، وأنا لست مُسافرٌ".

ليس حديثنا عمّن هاجر لأسباب اقتصادية بحتة، فهو كذلك لو وجد ما يعينه على رزق أولاده لما غادرهم، حديثنا عن التناقض الحاصل داخل السوريّ، وهي أشدّ غربة حينما يصبح عاجزاً، ولا يشعر بأنّ لإرادته ورؤاه معنى، مُنعزلاً عن ركب القطيع الناجي من سطوة الطاغي.

تبدأ الغربة كحكاية صغيرة تكبر مع تساؤلات السوريّ الصغير عن هويّته وعن أناه وعن وجوده، ثمّ يبدأ الحصار بأذرع الأخطبوط عبر منظماته ذات الأسماء التي تحمل لاحقة المركز، تحصي عليه أنفاسه، توجّهاته، تحاول جعل الإنسان عدواً لنفسه وللآخرين، تنمّي لديه غرائز البقاء والاحتيال والوصولية والحيوانيّة، ليصبّ كلّ القاذورات في مدح الأب الأكبر، الأخ الأكبر، الرفيق الأكبر، وغيرها..

وحدث أن انقسم الناس بين فرقة ناجية تبعت غرائزها وصارت من الجلّادين، وفرقة ضالّة بالمعنى الإيجابي وهي مَن تعاني أشدّ الغربة، ضمير الحريّة أصيلٌ لم يفارقها ولم تحجبه كلّ الجدران، ولم يبقَ أمامها سوى خيارين، بعدما نفت خيار القطيع: إمّا خلف الجدران العالية، وهذا مصير آلاف المعتقلين لدينا، أو الهجرة القسرية.

يحاول الطاغية بعدما فشلت أذرع الأخطبوط لديه أن يلجأ إلى نزع كل الأقنعة ليظهر وجهه الأشوه كما اعتدناه من أيام مجازر حماة، إلى تدمر، فصيدنايا، أمّا الحديثة فلم تنته بعد، ودرعا لن تكون آخرها.

العنف، نعم.. هو يلجأ إليه، مع إبقاء باب القفص مفتوحاً، يريد قطيعاً "متجانساً" يسهل قياده، ليبقى أمام السوريّ خيارٌ وحيدٌ هو الهجرة رغماً عنه.

حينما تضيق الآفاق أمام الشباب بين مستقبل مجهول أو يكونوا وقوداً في حربه، أو يكونوا ممّن ارتضوا غرائز البقاء تحت جناحيه المعتمين.

السؤال المعضلة: كيف نقنع الشباب بعدم الهجرة؟ ولسان حالهم يقول: رفعنا كلّ الرايات وأسقطناها ولم نجد غير صورةٍ مشوّهة لأحزاب وتيّارات، ذواتنا فرغت، ولا نريد ملئها بقاذورات الطاغية، ولا بوعودٍ رومانسيّة. سنوات شبابنا ضاعت ولم تعد كلمة "وطن" تحمل ذات المدلول كما كانت لكم! كلّ هذه الأسئلة مشروعة، فمَن يجعل إرادة الشباب وطموحهم حاملاً للمستقبل؟ إذا كنّا نملك إرادة تجاوز آلام الحاضر الممتد!

هل ثقافة الحقوق ووعي الذات، قادرةٌ على ملء الفراغ لدى الشباب؟ هل تلبّي كلّ احتياجاته؟ نعود للسؤال بتفرّعاته: ماذا يريدون؟ وأيّ عوامل الدفع أقوى لدى تناقضات دواخلهم؟

لربّما المدخل والتقديم يقودان للنتيجة السبب: المستقبل هم المعنيّون به.

قد تكون الأجيال السابقة فشلت وساهمت بما نحن عليه الآن، لذلك لا بدّ من فتح النوافذ لهم، نوافذ الحقيقة التي وعوا قسماً كبيراً منها، نوافذ الإرادة وعدم الوصاية، إذ لا وصاية لغير ذي أهليّة، نوافذ الخيارات للأفكار، إذ كفانا قواقع الطوائف والأحزاب والديانات والعائلات، نوافذ الأمل والواقع دون تزييف أو تزيين، إذ كفانا الغبش المتراكم بحجّة الأمل، نوافذ القرار إذ كفانا ما قرّرت السلطة اللاشرعيّة عنّا، وكفانا ما قرّر السلف عنّا، وكفانا ما أُجبرنا على اتّخاذه من قرارات حينما لم تكن خيارات أمامنا.

وكفانا ما هُجّر من بيته، إذ احتلّه ظلّ الشيطان، وغيّر صورنا على الجدران، وحاول ويحاول تغيير روائح الأرض والمكان من أجل مجتمع القطيع المتجانس.

لندع المستقبل للشباب وكلّنا ثقة بهم، فهم الأقرب له منّا.

طوابير يومية تشهدها مناطق الجزيرة السورية

وانتقادات تطال الإدارة الذاتية
ازدحام على الجوازات والسكر والبيض؛ يضاف إليها اسطوانات الغاز ومشتقات الوقود

الحسكة – كمال شيخو

سكر وبيض واسطوانة غاز ومازوت وجواز سفر والقائمة تطول؛ أبرز الكلمات المسموعة والمتداولة لدى غالبية سكان وأهالي مناطق الجزيرة السورية، حيث بات مشهد الازدحام المتزايد على أبواب دوائر الهجرة والجوازات في منطقة سيطرة النظام الحاكم بالمربع الأمني بالحسكة؛ مؤشراً على رغبة كثيرين في مغادرة هذه المنطقة المنقسمة عسكرياً بين جهات عسكرية محلية ودولية وإقليمية.

وللأسبوع الثالث على التوالي تشهد الأسواق المركزية بمدن وبلدات محافظة الحسكة أزمة خانقة بتأمين مادة السكر، في حين سجل طبق البيض لأول مرة 10 آلاف ليرة سورية (حوالي 3 دولار أمريكي) أما الفروج الحي يباع الكيلو الواحد بحدود 6500 ليرة، وهذه المرة الأولى التي تحلق هذه الأسعار في مناطق الجزيرة على الرغم من وجود مئات المداجن الخاصة والعامة، في وقت ارتفع سعر ربطة الخبز السياحي (وزن 700 غرام) الى 1200 ليرة وكان سعرها قبل شهر واحد 800 ليرة، بينما كان سعره اقبل عام 200 ليرة فقط.

هذه الأزمات تزامنت مع شحّ مشتقات الوقود وندرة أسطوانات الغاز، ويقول "عبدو" البالغ من العمر 60 عاماً إنه يأتي يومياً ويقف أمام صالة نوروز بحي الصالحية جنوبي مدينة الحسكة، أملاً بالحصول على عدد من كيلوغرامات السكر بسعر المبيع المحدد لدى دائرة التموين والرقابة في المناطق الخاضعة لسيطرة الإدارة الذاتية، وقال لمجلة (طلعنا عالحرية): "ذهبت للمحال التجارية المجاورة. يبيعون الكيلو بمبلغ 2500 ليرة، بينما يباع هنا في الصالة بسعر 1900 ليرة"، غير أن الازدحام وقلة الكميات يجعل من الصعوبة الحصول على حاجتهم من السكر. يضيف عبدو: "نحن شعب يحب السكر؛ نستخدم السكر في الشاي والكثير من الأطعمة، وكثرة الطلب عليه تسبب بالازدحام".

وأشار "عبد المجيد محمد" مدير صالة نوروز وهذه الشركة تتبع لجنة الاقتصاد بالإدارة الذاتية، إن الشركة توزع وبشكل يومي 35 طناً من السكر على أحياء مدينة الحسكة، يُباع منها 15 طن في ثلاث صالات من شركة نوروز بالحسكة: "بسعر الجملة 1900 ليرة، أما الباقي 20 طن تذهب إلى تجار المفرق لبيعها في محالهم التجارية، والأسعار مراقبة من هيئة التموين والرقابة".

بدوره، أخبر "سلمان بارودو" رئيس هيئة الاقتصاد والزراعة بالإدارة الذاتية في حديث مع طلعنا عالحرية أن الإدارة تعمل على زيادة كميات مادة السكر الشهرية من 8 ألف طن إلى 15 ألف طن، "وقد تصل إلى 20 ألف طن، وهذه الضائقة في طريقها للحل خلال أسبوع وستعود الأمور إلى نصابها، إذ ستطرح مؤسسات الإدارة كميات تفوق الاحتياج اليومي للأهالي بالأسواق"، وأرجع المسؤول أزمة السكر إلى إغلاق المعابر الحدودية مع مناطق سيطرة النظام، ومثيلاتها مع مناطق المعارضة السورية، وأضاف بارودو: "مما أدى إلى نقص مادة السكر في الأسواق، واحتكار بعض التجار الذي فاقم نقص السكر وخلق أزمة بين المواطنين".

ومن السكر إلى مشتقات النفط ونقص الوقود، يحكي "طه" الذي يعمل سائق سيارة أجرة وعمره (37 سنة) كيف يتجول من الساعة 4 فجراً على معظم محطات الوقود في مدينته الحسكة للحصول على 20 لتر بنزين دون فائدة، وقال: "أبقى أبحث من محطة لمحطة حتى أملأ سيارتي، في بعض المحطات عليك الانتظار في الطابور يوماً كاملاً، ومحطات ثانية يقولون لا يوجد بنزين"، منوهاً أن هذه المنطقة تستخرج يومياً آلاف البراميل من النفط الخام، وأردف قائلاً: "أما أبناء المنطقة محرمون منها ويبحثون عن لتر واحد دون جدوى".

وتشكو "اسمهان" المتحدرة من مدينة الحسكة وتقيم في حي تل حجر الواقع بالجهة الغربية، من قلة أسطوانات الغاز التي توزع حصراً عن طريق لجان الحي وتعرف باسم (الكومي)، فيما تباع في الأسواق بأسعار مضاعفة يصل سعرها لأكثر من 15 ألف ليرة سورية (5 دولار أمريكي) بينما عند الكومين سعرها 3200 ليرة (حوالي دولار واحد)، لتقول: "هذا سعر مقبول لكن المشكلة تأخر الدور ونبقى أحياناً شهراً كاملاً حتى نستلم جرة واحدة، عندما تنتهي قبل الوقت اقترض من عند أهلي والجيران وأردها عند استلامي واحدة جديدة".

من جانبه، أرجع "صادق محمد" رئيس إدارة المحروقات العامة بالإدارة لمجلة طلعنا عالحرية شحّ مشتقات الوقود إلى حاجة القطاع الزراعي للمحروقات، وتوزيع مازوت التدفئة المنزلي على العائلات في مدن وبلدات الجزيرة، ولفت إلى أن "الأهالي وبسبب انقطاع التيار الكهربائي يلجؤون إلى مولدات الكهرباء التي تعمل على المازوت أو البنزين"، أما أسطوانات الغاز المنزلي "زاد الطلب عليها لعدم قدرة الغالبية على تشغيل وسائل الطهي الكهربائية، والسبب أيضًا انقطاع التيار الكهربائي المتكرر".

وتشهد مناطق الإدارة الذاتية منذ أشهر ساعات تقنين طويلة، وصلت خلال أشهر تموز وآب الماضيين في بعض المناطق إلى نحو عشرين ساعة يومياً، بسبب تراجع منسوب مياه نهر الفرات، وعدم توفر "الفيول" والغاز اللازمين لتشغيل محطات التوليد، الأمر الذي دفع الأهالي للاعتماد على طرق بديلة، منها ألواح الطاقة الشمسية باهظة الثمن، أو محركات لتوليد التيار الكهربائي، والأخيرة تعمل على البنزين أو المازوت، وتتسبب بحدوث اختناقات يومية على محطات الوقود، ومشاهدة طوابير طويلة. وينتقد أهالي الحسكة دور الإدارة الذاتية ومؤسساتها بعدم قدرتها على معالجة هذه القضايا الخدمية والمعيشية التي تواجه سكان المنطقة يومياً.

أذربيجان ـ الدولة قبل الإسلام

مرزوق الحلبي

في العقد الأوّل للانفصال عن الاتحاد السوفييتي حاولت أكثر من دولة اختراق أذربيجان العائمة على آبار نفط لا ينضب. تركيا وإيران من الجنوب والعربية السعودية ودول أخرى أبعد قليلاً. دخلت جميعها من بوابة الإسلام. فبنوا حسب التقديرات نحو 2000 مسجداً في ربوع الدولة ذات العشرة ملايين. كان الادّعاء المُعلن إعادة الناس إلى حضن الإسلام بعد قرن من التغريب بقوة المشروع السوفييتي. إلّا أن النُخب في باكو انتبهت سريعًا إلى هذا الاختراق، فأوقفته بقرارات واضحة في الدستور، ومنها أن الدولة علمانية، وأنها تقوم على أساس الفصل بين الدين وبين الدولة. لملم الدُعاة عباءاتهم ومصاحفهم وعادوا من حيث أتوا. ولملمت دولهم أذيالها وتراجعت عن هذا الأسلوب في خطب دولة ناهضة للتوّ.

فإذا زرت باكو العاصمة لن تجد -حسب محدّثي- أكثر من عشرين مسجدًا (في مدينة تعدّ 3.5 مليون نسمة) لا تصدر عنها التكبيرات ولا تصدح من مآذنها مكبّرات الصوت. الصلاة للمصلّين ـتقول المؤسّسةـ والحيز العام حرّ. والمسجد للصلاة والعبادة، لا هو مدرسة ولا مركز دعويّ. أما القسمة بين شيعة ـوهم الأكثرية الساحقةـ وبين سُنّة -وهم أقليّة- فغير قائمة لأن المصلّين على مذاهبهم يأمّون المساجد ذاتها. هذا علماً بأنّ اللون الأخضر شارة الإسلام هي مكوّن من ثلاثة في علم الدولة.

إشارة أخرى على نوايا النُخب التي تُمسك بزمام الأمور هو استمرار القطاع الزراعيّ في إنتاج الخمور وبجودة عالية كنشاط زراعيّ اقتصاديّ نشط في الأقاليم المناسبة لذلك في وسط البلاد. كما أن الخمور تُباع ويتمّ تداولها في الحيز العام كباقي السلع ـ متوفّرة لمن يرغب. أما الأحوال الشخصية ومسائلها كلّها فتتمّ في مؤسسات الدولة، وإن كانت الطقوس الشعبية تأتي من تراث شعبيّ. هي محاولة لإبقاء الدين في خانته الروحانية إذا صحّ التعبير، وتحرير المجتمع من أحكامه وتجّاره. لأن عقيدة النُخب تقول بوضوح أن الاجتماع الحديث يُدار بطرق حديثة وبوسائل يُمكنها أن تصرّف شؤون الحياة العصرية والخير العام والحيّز العام لصالح الجميع بدرجة كافية من الكفاءة والاقتدار. هذا ما كتبه وأسّس له الأب المؤسّس حيد علييف الذي استطاع أن يعبر ببلاده المرحلة الانتقالية من نظام شمولي ـالإمبراطوريّة السوفييتيّةـ إلى نظام منفتح تعدّدي وديمقراطي على نحو معقول.

إن هذا التحوّل اللافت في أذربيجان هو ثمرة ركائز طوّرها المؤسّسون الجُدد وهي:

تنمية اقتصادية مستدامةـ من خلال استغلال واستثمار موارد البلد، لا سيّما النفط، لإحداث طفرات متتالية في مستويات المعيشة وهو ما حصل - للمعلومية، تمّ اكتشاف النفط في أذربيجان في نهاية النصف الأول للقرن الثامن عشر.

التصالح مع الماضي على حقَبه- وفي مقدّمتها الحقبة السوفييتيّة التي لا تزال رموزها وعلاماتها في العاصمة وغيرها مُصانة ومحفوظة. لكن يشمل التصالح كل الحقب التاريخية التي مرت على أذربيجان بما فيها العربية والفارسية والتركية واحتلالات أخرى للبلاد. وهنا، أيضاً، سنجد أن الدولة تُعنى بالمعالم التاريخيّة كلها وتصونها وتكلّف طواقم من العمال بإدارتها.

السعي لبناء عيش مشترك بدون توتّرات- من خلال سياسات في مركزها تحويل الإثنيات الـ 16 الرئيسة في البلاد إلى مجتمع متجانس قدر الإمكان، عبر سياسات هادفة بهذا الخصوص.

ضمانات اجتماعية توفّرها الدولة- عبر خدمات تعليم وصحة وإسكان ودعم اقتصادي للمصالح والقطاع الخاص المتوسّط. عبر توطين اللاجئين جراء الحروب مع أرمينيا ـالأخيرة في العام 2020ـ وتطوير الريف ومقدّراته.

إن واردات الدولة من الغاز والنفط وتوابعه قادرة وفق تقديرات الاحتياطي وقدرات الإنتاج ومتطلبات السوق وعلاقات الدولة أن تحمل المجتمع الأذربيجاني والدولة لعقود طويلة على دالة النموّ والتطوّر العمراني. وهو احتمال تعزّزه سياسات النُخب التي عرفت كيف تموضع الدولة الفتيّة في موقع استقرار في بيئة متغيّرة وضاغطة من الشمال، الدب الروسي بواسطة تحريك القوقاز وتأليبه ضد نفسه، ومن الجنوب، إيران وتركيا. هذا يعني أن أذربيجان تشكّل نموذجًا في أربعة مستويات:

في المستوى الاقتصادي من خلال تنمية واضحة المعالم وعملة قوية (المانات الأذربيجاني يساوي نحو 50% من اليورو وقيمته الشرائية عالية).

في المستوى الاجتماعي عبر تعزيز تماسك المجتمع وتشكيل الأمّة.

في مستوى المشروع المستقبلي الذي ينتظر المواطنين مع التأكيد على المستقبل وإمكاناته والتصالح مع الماضي الذي أتوا منه.

في مستوى فصل الدين عن الدولة في بلد إسلامي في غالبيته الساحقة، وتغليب متطلّبات الاجتماع الحديث على التراث والتاريخ والثقافة السابقة للدولة. بمعنى أن للنُخب في أذربيجان مشروعها الذي في المستقبل وليس في الماضي كما يقترح الإسلام السياسي والثقافي العربي.

وهنا يُقال فليحيَ الفارق البسيط بين إسلام متبجّح ومدّع كحزب العدالة والتنمية في المغرب (مُني بهزيمة ساحقة) وحركة النهضة في تونس والإخوان المسلمين في مصر على آخر القائمة، وبين دولة إسلامية متواضعة في دينها وناجحة في مشروعها المدنيّ. أذربيجان القادمة من القوقاز تقترح علينا نموذجًا آخر -غير خالٍ من الثغرات كوجود مظاهر فساد مالي وأحياء فقر حول العاصمة- لكنه حيويّ يخطّ مساره بثقة نحو اجتماع معقول، أعاد لي أنا شخصيًّا ثقتي بالدولة. أقول هذا بعد أن حوّلت النُخب العربية (ونُخب غيرها في العالم) الدول باسم الإسلام وشريعته أو في تحالف معه إلى مافيات دولية لا تُنتج سوى التوحّش والتقتيل.

الأمر المطمئن هو أن للدولة عقيدة تقوم على الانفتاح في داخلها، وعلى الانفتاح نحو الخارج، أيضاً. هي دولة تعيش في الحاضر بأدوات الحاضر ولغته.

لا شفاء لهذه النازفة!

عبد الله شاهين

"كانَت امْرَأَةٌ مُصَابَةٌ بِنَزْفِ دَمٍ مُنْذُ اثْنَتَي عَشْرَةَ سَنَة، وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَشْفِيَهَا. دَنَتْ مِنْ وَرَاءِ يَسُوع، وَلَمَسَتْ طَرَفَ رِدَائِه، وَفَجأَةً وَقَفَ نَزْفُ دَمِهَا. فَقَالَ يَسُوع: "مَنْ لَمَسَنِي؟". وَأَنْكَرَ الـجَمِيع. فَقَالَ بُطْرُسُ وَمَنْ مَعَهُ: "يا مُعَلِّم، إِنَّ الـجُمُوعَ يَزْحَمُونَكَ وَيُضَايِقُونَكَ!". قَالَ يَسُوع: "إِنَّ واحِدًا قَدْ لَمَسَنِي! فَإِنِّي عَرَفْتُ أَنَّ قُوَّةً قَدْ خَرَجَتْ مِنِّي!". وَرَأَتِ الـمَرْأَةُ أَنَّ أَمْرَهَا لَمْ يَخْفَ عَلَيه، فَدَنَتْ مُرْتَعِدَةً وارْتَمَتْ عَلَى قَدَمَيه، وَأَعْلَنَتْ أَمَامَ الشَّعْبِ كُلِّه لِماذَا لَمَسَتْهُ، وَكَيْفَ شُفِيَتْ لِلْحَال. فَقَالَ لَهَا يَسُوع: "يا ابْنَتِي، إِيْمَانُكِ خَلَّصَكِ! إِذْهَبِي بِسَلام"

انجيل لوقا 8: 43

"تعا ودعو يا حوينتو.. آخر أيامو المشمش".. لم تكن نداءات الباعة وقتئذ إعلاناً لقرب نهاية الصيف فحسب، بل كانت إشارة البدء في حزم المتاع والسفر نحو العام الدراسي الجديد. بالرغم من العقود التي باتت تفصل ذاكرتي عن صيف سوريا، تبقى نسمات المساء عند الغروب تثير فيّ ذلك الوجد والحنين. مهما حاولت كبت تلك الذكريات، فإنها تظل تتسلل إلى أحلامي. موسم المشمش الذي أعشق، وسهرات البلكون، وعشرات مواكب الأعراس. كانت سوريا مرتبطة بالصيف ارتباطه بموسم المشمش في ذاكرة ذلك الطفل ربيب الغربة؛ فباقي الشهور كنت أقضيها في حرّ مماثل، لكن دون صيف ولا نسمات ولا سهرات بلكون. فقط وجد وحنين!

إلا أن سوريا الخريف كان لها أن تلتقي بذكريات ذلك المراهق عام 1996، حين انتقلنا من الخليج وسكنّا في حمص لمدة عامين. انضممت فيها إلى صفوف الرفاق في شبيبة البؤس في سوريا حافظ الأسد آنذاك. من بين أربعين شقياً في الشعبة الثانية في الصف العاشر، كنت أنا ومغترب آخر نكتشف ذلك الفصل البائس للمرة الأولى. ميّزنا طولنا الفارع عن باقي أقراننا، وبعض الشحم الذي تمكّنت المسيرات واحتفالات الحزب الخمسينية من نحته أخيراً. في مدرسة تعداد طلابها تجاوز الثلاثمئة كان عدد من عاشوا تجربة الاغتراب لا يتجاوز عدد الأصابع. مدرستنا كانت مجاورة للأحياء الراقية، وكنا بصحبة أولاد أكبر عائلات حمص وأشهرها. كان اثنان من أبناء صفي ممن أسماؤهم كانت أسماء شوارع أو معالم في المدينة؛ كونهم كانوا سميي أجدادهم الذين كانوا من أعلام المدينة.

لم تكن ظاهرة الاغتراب عن السوريين في تلك الفترة بالغريبة، بل عجّت بنا مدن الخليج آنذاك. لكن مفهوم الاغتراب للكثيرين من أبناء صفي وقتها كان مستهجناً. فلم يكن من المنطقي أن يذهب المرء طواعية إلى أماكن تهان فيها كرامته ويحرم من حقه بالمواطنة مقابل المال. مفهوم لا شك سطحي ومجحف في التبسيط، ويهمل عشرات الأسباب التي كانت تدفع ملايين السوريين إلى المنفى آنذاك. ظللنا ضحية نكتة "شحادي الخليج" السمجة آنذاك، بالرغم من أننا كنا أفضل حالاً من الناحية المادية من الكثير من أهالي أولئك الرفاق.

ما علينا.. على كل فقد كانت فكرة ترك البلد عند هؤلاء الشباب مرفوضة جملة وتفصيلاً؛ فنار البلد خير من جنة النفطيين كما ظلوا يرددون.

أتممت دراستي الجامعية عام 2006، وكنت وقتها قد عدت إلى وضعية عابر السبيل الصيفي في سوريا. وكان خط رحلتي لا شك هو المزيد من الاغتراب. كزدورات شارع الملعب بحمص كانت ملتقانا من جديد نحن أولاد الشعبة الثانية في ثانوية عبد الحميد الزهراوي. عشر سنوات فصلت بين أحلام المراهقين وواقعهم. من أصل أولئك الأربعين، كان نصيب الخليج منهم ثمانية عشرة. وكانت أمريكا وأوروبا قد ابتلعتا خمسة آخرين. ومن بقي ظل هو الآخر مشروع مغترب مؤجلاً.

سوريا الأسدين تحولت في تلك الفترة الوجيزة إلى ماكينة احترافية في تصدير الشباب إلى العالم. منهم من سلك هذا المسلك بدافع التخلص من الخدمة العسكرية الإلزامية ودفع البدل النقدي، ومنهم من تصالح مع واقع أن البحبوحة التي نشأ في كنفها لم تكن لتسعه هو وإخوته، فكان على أبناء العائلات الميسورة أيضاً أن يختاروا لقمة العيش على الكرامة وينضموا إلينا (معشر الصيفيين).

في آخر بحث لي على الفيسبوك -قبل أن أعتزله- في عام 2018، ارتفع عدد (أسرى الخليج) من صفّ الأشقياء في ثانوية الزهراوي إلى 22 وخسرت أوروبا واحداً عاد إلى "حضن الوطن"، بينما اكتسبت

خمسة غيره. وتركيا صارت مسكن خمسة آخرين. وبقي أربعة صامدون، أو يخيل إلينا أنهم كذلك، وليس منهم أي من أسماء المعالم الحمصيّة.

يسميها الغرب "نزيف العقول"، لكنها لسوريا كانت نزيف الحياة؛ نزيف سال قبل أن يكمل الأسد الابن طعنته في القلب بعقد من الزمن. أما لنا فكانت النجاة قبل الآزفة بقليل، أو من بين أيديها.

لم تكن سوريا الأسد بحاجة لشبابها. بل كانت تطرب وهي تتخلص من أحمالها. كانت أسهل الأوراق التي استصدرتها عام 2008 هي تأشيرة السفر التي صدرت خلال نصف ساعة، بينما استغرقت معادلة الشهادة عامين رغم أنني مسجل تحت الإشرافّ!

لقد بدأ التهجير القسري قبل الثورة السورية بسنوات. وبينما أمعنت الحرب والقصف والبراميل في تهجيرنا، إلا أنها كانت مجرد استكمال لما أراده السفاح الصغير، وهو أن تشيخ البلد وتنوب إليه وحده، فيستحكمها أبداً آخر.

اليوم وأنا أرى صور أصدقائي اللبنانيين يتصورون بجانب حقائبهم في مطار بيروت مودعين وطنهم دون حرب ولا براميل، لا أستطيع إلا أن أتساءل: أكان يصمد منا أكثر من 4 بكل الأحوال في حضن هذه العجوز النازفة؟!

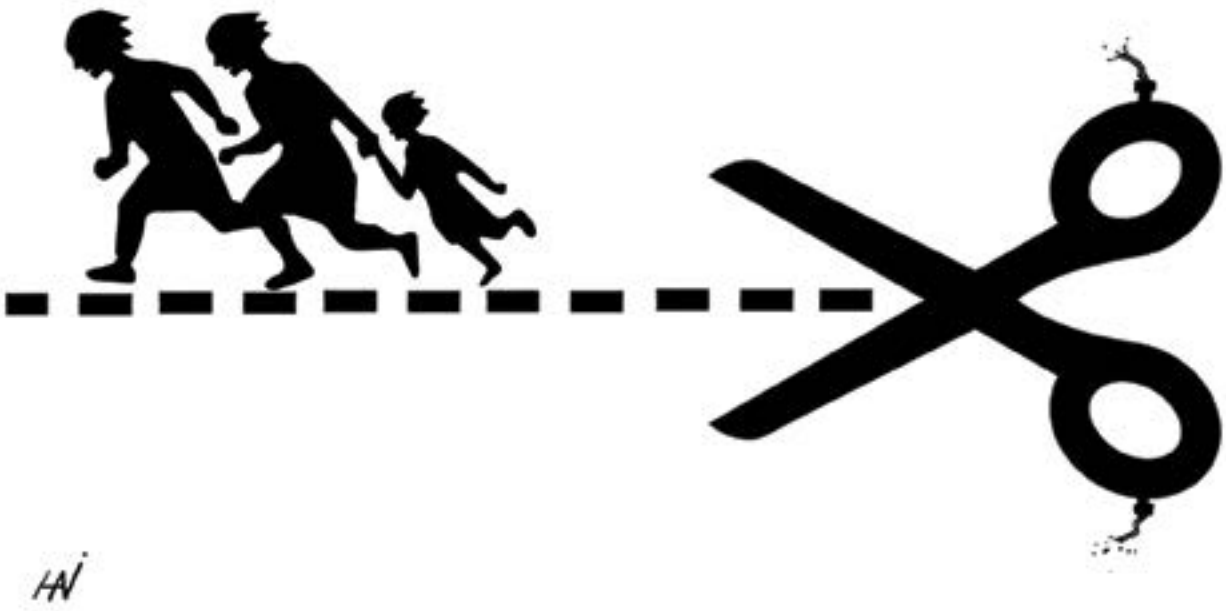

عمران أنا..
فلتغرقوا في صمتي الأبدي

جمال الشوفي

مذ شاهدت إيلان يغفو على شاطئ مدينة ما، وأنا أسأل أمي كل يوم: لماذا لم نذهب معهم يا أمي، كنا لعبنا معاً على الشاطئ ومن ثم غفونا سوية؟. تنهمر الدمعة من عينيها، تضمني، وتقول: "بعيد الشر عنك"..

اليوم، جنحت الأسئلة وشُدهت عين أمي، فلا أنا تكلمت ولا هي بكت! لا أعلم لماذا تنتشر صورتي في مجلّات العالم وجرائدها ونشراتها الإخبارية! هل بتّ قائد أمة أم بطل حرب؟

لا أدرك المعنى أبداً، لكن إيلان قد يرى صورتي فيعود لنلعب سوية. سأقول له لا تخف من هذا اللون الأحمر اللزج الذي يسيل على وجهي، فأنا أغسل وجهي جيداً، أنظف أسناني حتى تلمع، لكن لم أكن أظن يوماً أنها ستكون يوماً هدف طيار أعمى وقذائفه. يا إيلان، سرحت شعري ورتبته، لحظة هممت للخروج لضوء الشمس ورشاقةُ الصبح تغري قدمي، ناوياً الخروج للّعب في الحديقة، أطبقت العتمة عليّ من كل جهة، وملأ أنفي زكام غبار كثيف وسيل من ركام جبل!

من أنتم؟ أنا لا أعرفكم، أما أنا؛ فأنا عمران وعمري خمسة أعوام، و لازلت حياً، بعد أن غادرني إيلان قبل عام مضى، لكنني توقفت عن ترديد كلماتكم، وتحشرجت الحروف في حنجرتي، واليوم هجرت لغتكم أبداً، "فلكم لغتكم ولي لغتي". قلقكم واستنكاركم مجرد حروف أستهجنها، فأبداً لم تستطع إيقاف الصواريخ من الانهمار على حينا، ولا البراميل من اجتياح حديقتنا! حديقة الحي التي كلما تعاونت ورفاقي على تنظيفها، انهالت عليها قنابل وبراميل. ونعيد الكرة، نعاود اللعب فيها وتعلو أصوات ضحكاتنا على صوت الضجيج وهدير الطائرات، فلماذا لا تسمعونها؟

لا تظنوا أنا نجري خوفاً من الطائرات، فقد اعتدنا منها أن تملأ سماءنا بدل الطيور والعصافير! فقط، نحن نجري كل منا تجاه أمه يخبرها أنه حيٌّ و لم تطله قذيفة أو برميل، ولم يغفو بعد كما إيلان! وعدتك ألا تبكي يا أمي، لا أحب أن تذرفي المزيد من الدموع، فابتسامتك فيض حنان، وبريق عينيك يغريني كي أكبر وأغدو أجمل، فأصبح قادراً على التغلب على جوعنا وبأسنا اليومي المطبق علينا مذ ولدت. يا أمي هكذا أردت أن أحميك من وجعك ومن خوفك المستدام لكن..

أنا عمران ابن حلب، حلب التي تتكلمون عنها في الصحف ونشرات الأخبار واجتماعات الدول وغرف العمليات، حلب التي لم تبق يد آثمة في الكون ومن كل أصناف شذاذ الآفاق إلا وامتدت إليها لتقتلنا! وطالما سألت أمي وهي لا تجيب: لماذا لا يحبوننا يا أمي؟ ما الجريمة التي ارتكبتها ليأمروا بقتلي؟ أنا أحب العصافير وكل أنواع الطيور، أنا أحب الأزهار والفراشات وأهتم بها وأعتني بكلاب الحارة وقططها، أرتب سريري كل صباح وأغسل يدي قبل كل طعام وأنظف أسناني قبل النوم، أنا لم أسرق يا أمي ولم أكذب يوماً.. ألم يعلمونا في المدرسة أن الأطفال كنز الحياة وزينتها؟ وأننا حاضر سوريا ومستقبلها فلماذا يسموننا إرهابيين؟!

قبل أعوام نجوت وأصحابي من السمّ الأصفر الذي انهمر علينا، هل تذكرين؟ هل تتذكرون؟ يومها ظننت أن المطر بات أصفراً بلون أوراق القمح في موسم الحصاد، فالقمح في هذا الموعد من العام يكون قد تم جنيه وبات مخزناً في المنازل لشتاء قارص، يبعث البهجة في نفس أبي وأمي، ولربما ابتسامتهما الصفراوية كانت تعكس لون القمح أيضاً! أنا لا أعلم لماذا يقولون عن ابتسامة عدم الرضا هذه بالصفراوية؟ ألانها تشبه السمّ الأصفر؟ ولماذا يبتسم أبي بذلك اللون رغم تأمين الموسم؟ أتراه يقول في نفسه: "أمنّا الخبز لكن كيف سنؤمن الماء وكيف سنتقي مطر المدافع ووابل الطائرات.."؟ و لازلت أتساءل، هل الأصفر هو نهاية حياة كانت خضراء مزدانة بالفرح؟

أتعلمون أن صمتكم قتلني مرات ومرات، فرغم أني شعرت بالاختناق لكن أقوالكم المزينة بمشاعر هلامية خنقتني أكثر، أنا لا أكذب ولم أكذب يوماً، وأنتم كل يوم تكذبون على أطفالكم وعالمكم حين تصفوننا نحن الأطفال، بالإرهابيين وتبيحون قتلنا اليومي!

سأصمت عن قولٍ، فصمتي ليس عجزاً، ولا فراغ نظرتي، لن أجيبَ عن أسئلتكم، ولن أقول لكم من هو قاتلي، فمحاكمكم وقضاؤكم يعرفونه أكثر مني، بل تتسترون عليه عنوةً ولغاية في نفس يعقوب. وأنا مازلت بريئاً من أي ذنب كبراءة الذئب من دم يوسف. سأترك قلقكم يأخذكم إلى ما لانهاية، وسأترك لكم فتح معاهد جديدة في التحليل النفسي وعلوم السياسة والقانون الدولي لتجيبوا عن أسئلة العلم الحديث: لماذا عمران لا يتكلم؟ لمَ هو مصدوم؟ ما المعنى النفسي لنظراته الشاردة تلك؟ هل يفهم ما يجري حوله؟ هل خرقت الطائرة التي قصفت بيته الهدنة؟ وهل انتهكت قواعد الاشتباك المعلنة بين أمريكيا وروسيا؟ هل كان يحمل سلاحاً لإسقاط الطائرات وخرق باستخدامه القانون الدولي؟ سأترك لكم أسئلتكم بلا إجابة فهي أسئلة صعبة علي، لكني سأسألكم علكم تجيبوني:

- هل تذكرون حمزة؟ من ثقب جسده بمثقب الكهرباء وأعاده لأهله جثة هامدة؟
- هل تتذكرون هاجر وأحمد وغياث و سلمى وآلاف الأطفال مثلي؟ لماذا قتلوا فرادى وجماعات؟
- أين إيلان، ولماذا غفا طويلاً على شاطئ ما؟ هل تعلمون أنّا كنا نلعب سوية كل صباح، وكنا نحلم أن نكبر معاً و أن نبني معاً، سأصارحكم بأنه هرب من الموت هنا، فمات هناك على شاطئ هجرة شاهد على موتنا الجماعي، وأنا بقيت ولازلت أنتظر موتاً ما، فهل من سبيل لديكم خلاف ذلك يا سادة؟
- هل أنا من أسعى لانقراض الطائر أبو منجل في بادية الشام؟ وهل حياته أهم مني ومن رفاقي لتدفع له الأمم المتحدة في برنامجها العالمي لإنقاذ الطيور المنقرضة وتوافق على انقراضنا كل يوم؟
- لماذا يجتمع العالم على قتلي؟ ألم يخبر أطفال

روسيا بوتين وجنرالاته، يوماً، أن أطفال ستالينغراد كانوا مثلي ذات يوم، ذات حصار وموت؟

- ماذا تراها ستفعل مراكز بحثكم العلمية والسياسية والاقتصادية وعلوم التقنية الحديثة في تفسير مسار الدم الحار على وجنتي؟ ولماذا بقيت حياً ولم أمت؟ بينما مات أخي ولم أستطع بكاءه؟

- لماذا تعتقدون أن أطفالكم فقط هم الأطفال، وأني ابن سبعين عاماً مثلاً؟!

أنا ابن المئة عام وعام يا سادة، أنا من تيبست روحه وجفلت الكلمات منه، أنا وجع الصمت المرّ وأنين الموت في الشرايين، أنا ضحية إجرامكم الطويل وحبكم في مشاهدة أفلام الرعب القاتل ولعق الدماء، أنا لا أستطيع لعنكم، فلم أتعلم ثقافة اللعن والكراهية، ولا يمكنني أن أتمنى الموت لقاتلي، فأنا أبن الحضارة التي تريدون إزالتها من الوجود، أنا طفولة سوريا التي تتمنون صمتها عن جريمة العصر. ربما إنسانيتكم المفرطة تمنعكم من متابعة مشاهد بؤسنا اليومي وموتنا اليومي وجريمة أسيادكم اليومية فينا! سأتابع صمتي فإن عذبكم وأقلق نومكم وحارت به منظماتكم ومجتمعاتكم الحقوقية والإنسانية فلم يكن أبداً ذنبي، فأنا لم أنوي يوماً أذية حتى نملة. هو ذنب اللغة وعجزها، ذنب الصمم الأبكم وعجز نطقكم أيضاً! و لربما كان ذنبي الوحيد أني ولدت سورياً، ولدت حيث تصنع آلة القتل والتدمير مواكب المهجرين إلى كل شتات الأرض وطريق الراحلين في رحلة جنائزية طويلة، والباقون منا يعزفون لعنة الصمت المر.

صمتي ليس موقفاً وفقط، ولن أخطب "خطبة الهندي الأحمر الأخيرة" ولن أسأل عن المتبقي فينا، صمتي تحفة أثرية لتحتفظوا بها في متاحفكم التاريخية، في اللوفر، في الساحات الحمراء، بجوار تمثال الحرية، في متاحف نصركم في حروبكم الوطنية! حتى إذا مرّ الزائرون يوماً ولفت انتباههم تمثالي، وقرؤوا ما كتب على لوحتي بلون برونزي مخضب:

"هذا مصير أطفال سوريا، وثمن صرخات الحرية"..

غرقوا، كما غرقتم مثلي في صمتٍ الأبدي..

* نشرت هذه الكلمات لأول مرة في مجلة ذوات العدد 30, مؤسسة مؤمنون بلا حدود، المغرب، 11/2016، واليوم زاد عمر عمران خمس سنوات، وهرمت أنا ومثلي كثُر، ولا زالت الجريمة مستمرة والذهول يملأ القلوب قبل العيون والعالم يطبق في صمته الأبدي..

الوطن والغربة يحاصران السوريين!

علي الدالاتي – إدلب

"كانت رحلتنا أشبه برحلة القيامة.. خرجت من منزل أهلي بدمشق نحو حمص ليوقفنا حاجز القطيفة لعدة ساعات، ولنتوجه بعدها لمحافظة حمص، ثم حماة ومنها للرقة. ثم خرجنا باتجاه منبج، ومنها إلى مناطق "درع الفرات" بريف حلب.. وقفنا على حاجز "العون" عدة ساعات، قبل أن نحصل على إذن من الفصائل والقوات التركية لنستطيع الدخول. ومن هناك دخلت إدلب، حيث حاولت عدة مرات دخول تركيا عبر طريق التهريب، ولا أعلم كم مرة سأحاول حتى أستطيع العبور". كانت دمعة "سهى" تسيل وهي تروي بهذه الكلمات قصّة محاولة الوصول لزوجها المقيم في تركيا بعد تهجيره قسرياً من بلدته بريف دمشق نحو مدينة إدلب؛ حيث خرج منها إلى تركيا، وهي تريد الخروج إليه ليعيدا تأسيس أسرتهما بعد أن تمكن زوجها من تأسيس لحياة جديدة في تركيا. وهم جالسين في أحد المقاهي ويتكلمون بحديثهم المعتاد عن الهجرة، يصرخ أحمد بأصدقائه: "مادام هناك ثورة في سوريا لن أخرج منها، لقد حلمت لسنين بالثورة على النظام، وعندما أضحى الحلم حقيقة تريدوني أن أهرب من حلمي؟!". أحمد (32 سنة) مهجر من مدينة حلب لمدينة إدلب، يقول لمجلة طلعنا عالحرية: "في كل مساء أجلس مع أصدقائي هنا لنتناقش بمستقبلنا، لتدور غالبية الحديث عن الهجرة" ويتابع: "فقدنا ثلاثة أعضاء كانوا فعالين بنقاشاتنا: محمد الذي قتل بقصف مدفعي لقوات النظام على ريف إدلب، واثنين خرجا نحو تركيا". ويختم أحمد كلامه: "أنا أفضل أن أموت هنا بأرضي، مثل محمد، على أن أغادرها؛ فنحن خرجنا بثورة وعلينا المضي بها نحو النهاية". وتعيش منطقة إدلب نوعاً من الهدوء المتقطع، وتبقى مترقبة لتفاهمات دولية جديدة، قد تخسر بها المحافظة الخارجة عن النظام مزيداً من أجزائها. وبحسب إحصائيات نشرتها منظمة منسقو الاستجابة، يعيش في شمال غرب سوريا 4 مليون نسمة، منهم 2.1 مليون من النازحين، يعيش أكثر من ثلاثة ملايين منهم تحت خط الفقر. تخرّج محمد (27 سنة) من كلية التربية منذ عام، وهو منذ ذلك الوقت يحاول الهجرة خارج سوريا، ليصل لإخوته الموجودين في أوربا. كل يوم يمشي في الأراضي الزراعية المحيطة بالمخيم الذي يعيش فيه مع أقاربه، وهو ينتظر اتصالاً من "المهرِّب" الذي سيدخله تركيا، ليذهب مع مهرب آخر إلى اليونان ومنها لبلد آخر في أوروبا. قال محمد لطلعنا عالحرية إنه لم يعد يحتمل العيش في إدلب، فبعد تهجيره من قريته في ريف إدلب الجنوبي ووفاة والدته، "لم يعد هناك شيء يربطني بهذه البلاد، فالوقت الذي يجب أن أقضيه كشاب وأنا أفكر ببناء مستقبلي، أقضيه بالتفكير كيف سأبقى على قيد الحياة، في بلاد لم يبق فيها شيء سهل المنال إلا الموت".. لم يكمل محمد حديثه معنا لأنه تلقى مكالمة من شخص، تخبره بضرورة التوجه لمنزل المهرب، حيث سيحاولون هذه الليلة العبور إلى تركيا. فهو سبق وأخبرنا أنه إنه مستعجل بالدخول إلى تركيا ليستطيع العبور للأراضي الأوربية قبل حلول فصل الشتاء الذي يصبح فيه الوصول لأوروبا مستحيلاً. أبو سمير (70سنة) يجلس يومياً على قارعة الرصيف أمام متجره الذي يبيع فيه الأدوات المنزلية في مدينة إدلب. روى الرجل لنا أحلامه هو وزوجته بالسفر لأوروبا، لرؤية أبنائهما المنتشرين في الدول الأوربية، حيث غادروا سوريا إلى تركيا هرباً من القصف الذي استهدف المدينة عام 2015 بعد تحريرها من قوات النظام، ولم يبقَ من أبنائه سوى أصغرهم "مهند" الذي رفض ترك والديه وحيدين، اللذين رفضا بدورهما مغادرة المدينة طمعاً بالموت على الأرض التي ولِدا وعاشا فيها. ولكن أبا سمير اليوم يشعر بالندم بسبب عدم سفره مع أبنائه في ذاك الوقت، ويزداد ندمه ويشعر بتأنيب الضمير كلما رأى ولده مهند الذي بقي في إدلب لأجله ولم يسافر مع أخوته. وبحسب أبي سمير: "اليوم الذهاب لأوروبا يحتاج لتكاليف كبيرة، وحتى لو استطعت تأمينها عبر بيع كل ما أملك، فحتماً لن أتحمل أنا وزوجتي صعوبة الرحلة؛ لأننا نعاني عدة أمراض مزمنة". لم تكن الهجرة حدثاً جديداً على السوريين؛ فقبل اندلاع الثورة في 2011 كان آلاف السوريين والسوريات يغادرون سوريا، غالبيتهم من الشباب، ويتوجهون لدول الخليج العربي لأجل العمل وتحسين أوضاعهم المعيشية، وليستطيعوا تأسيس حياتهم في الدولة ذات الحزب الواحد والقائد الواحد المسيطر على كل مفاصل الحياة. وكان الشباب السوري وقتها يعاني من البطالة والفساد والمحسوبيات في كل شيء، والشباب الذكور يعانون من الخدمة الإلزامية التي كانت مصممة لتذيق من يذهب إليها جميع أنواع الذل والإهانة. ومن هؤلاء الشباب كانة هنداوي (30 سنة) وهو ناشط إعلامي من جبل الزاوية قال لمجلة طلعنا للحرية: "غادرت سوريا لدولة قطر للعمل عام 2011 قبل اندلاع الثورة بعدة أيام، وبقيت هناك إلى عام 2015، حين قررت العودة إلى سوريا للمشاركة في الثورة السورية على النظام الذي كان سبباً بغربتي لسنوات بعيداً عن أهلي وبلدي"، ويتابع: "الكثير يستغربون من عودتي إلى البلد التي يحاول الكثير من أهلها الهجرة منها بكافة الأساليب". وبحسب تقرير منظمة الهجرة العالمية لعام 2020، تصدرت سوريا قائمة الدول المصدرة للاجئين حول العالم. وأشار التقرير إلى وجود أكثر من 6.6 مليون لاجئ سوري، يتوزعون على أغلبية دول العالم، ولكن النسبة الأعلى منهم تقيم في دول الجوار السوري: تركيا والأردن ولبنان، بالإضافة لدولتي مصر وألمانيا.

الشباب في مناطق النظام والمناطق المحررة تعددت الأسباب والهجرة واحدة

شمس الدين مطعون

يرافق العم "أبو عمار" آخر أبنائه إلى مبنى الهجرة والجوازات في دمشق، حيث يزدحم عشرات الشباب الراغبين بالحصول على جواز سفر لمغادرة البلاد.

يقول أبو عمار: "ابني أصبح بعمر الخدمة الإلزامية، لذلك يجب أن يسافر ويلتحق بإخوته الذين سبقوه إلى مصر في 2013 لنفس السبب"، ويضيف العم: "في مصر استطاع أولادي أن يؤمّنوا حياتهم، كما أننا نعيش من المال الذي يرسلونه لنا".

تتكرر مشاهد الهجرة لأبناء دمشق وريفها، حيث يندفع الشباب للسفر ليس خوفاً من الالتحاق بالخدمة الإلزامية فقط، وإنما تطلعاً لمستقبل قد يكون أفضل من الظروف الصعبة التي تعيشها بلادهم، ويجد الشباب في الهجرة طريقاً لإيجاد فرص عمل أو لاستكمال تعليمهم، في ظلّ تدني الظروف الحياتية والاقتصادية التي يعانون منها.

وكان عشرات الشباب قد استطاعوا في وقت سابق، الابتعاد عن عيون السلطات تجنباً من الالتحاق بصفوف الجيش، عبر الاختباء بالقرى النائية وعدم مغادرة المنزل إلا للضرورة القصوى، وتجنب العبور على الحواجز الأمنية.

الشاب "عبد الرحمن" (21 عاماً) تمكن من التخلف عن الخدمة الإلزامية لعامين قبل أن يقرّر الهجرة إلى مصر، يقول عبد الرحمن إنه كان متفائلاً بأن تتحسن الظروف، ويحل مسألة تخلّفه بدفع البدل أو بأي طريقة أخرى، في سبيل البقاء في مدينته. "إلا أن الحياة أصبحت من سيء لأسوء، الغلاء وقلة الخدمات من جهة، وعدم توفر فرص عمل جيدة، جعلت الأفق مسدوداً في وجهي، ولا حل إلا الهجرة".

وجهة الهجرة:

تختلف الوجهات التي يقصدها الشباب المهاجرون؛ حيث تعتبر مصر إحدى الجهات الرئيسية، كما أصبح خيار السفر إلى ليبيا متاحاً، عبر مطار دمشق الدولي، بينما يتوجه العشرات للحصول على تأشيرة سفر إلى كردستان العراق، ولم تعد لبنان وجهة مفضلة، لتردي الوضع الاقتصادي وتراجع فرص العمل فيها.

وعلى عكس الحال في 2013 حين دفعت الظروف الصعبة بمئات الشباب والعائلات إلى الهجرة من سوريا، لاسيما المطلوبين أمنياً أو للخدمة العسكرية، واللجوء لطرق التهريب الخطيرة والباهظة الثمن، باتت سلطات النظام تسهّل الهجرة وتسمح للشباب -حتى المطلوبين- للهجرة بشكل نظامي عبر منحهم موافقات أمنية.

حيث خفضت تكلفة "الموافقة الأمنية"، ووفق "م ن" وهو أحد العاملين في مكاتب السفريات بالعاصمة دمشق، فإن تسهيلات كبيرة تقدم للسوريين الراغبين بالسفر وبالأخص إلى مصر.

وأوضح "م ن" أن مدّة الانتظار للحصول على الموافقة الأمنية أصبحت أقل، حيث يحصل السوريين على تصريح دخول تتراوح مدته بين شهر إلى ستة أشهر.

تأمين تكلفة الهجرة:

يلجأ العشرات من الأهالي لبيع عقاراتهم وجزء من منازلهم التي يسكنونها أحياناً، لتأمين تكلفة الهجرة لأبنائهم، ويقول "أبو مازن" وهو من سكان ريف دمشق أنه عرض قسماً من منزله للبيع لتأمين تكلفة هجرة لاثنين من أبنائه.

يوضح أبو مازن: "البيع في هذه الفترة سهل جداً، ولكن الأسعار قليلة مقارنة بقيمة العقار"، ويضيف: "إنني مضطر لتأمين المبلغ لسفر ابني الذي أصبح بعمر الخدمة الإلزامية".

تقتصر الهجرة في معظم الأحيان على عدد محدد من أفراد العائلة، نظراً لارتفاع الأكلاف، وهم بالغالب من فئة الشباب، ويبرر أبو مازن: "نحن عشنا ما يكفينا، وما عاد لنا طمع في الحياة"، ويضيف: " خلي الشباب ياخدوا فرصتهم ويعيشوا حياة أفضل".

الهجرة من الشمال المحرر:

رغم مخاطرها وعدم توفر خيارات كثيرة للهجرة، يصرّ الشباب على الخوض فيها، هرباً من حالة عدم الاستقرار والتهديد الدائم بحملة عسكرية، كما أن الفقر وقلة فرص العمل هما من أهم الأسباب التي دفعت لهجرة مئات الشباب.

تقتصر الوجهة الرئيسية إلى تركيا المتاخمة لحدود المناطق المحررة، ومن ثم يسعى الشباب للهجرة إلى دولة أوروبية، في ظروف صعبة وعبر طرق شديدة الخطورة ومرتفعة الأكلاف.

يقول "مهند" بعد أن تمكن من مغادرة إدلب بواسطة أحد المهربين إلى تركيا، وبعدها لجزيرة قبرص اليونانية، إن تكلفة رحلته بلغت حوالي 5 آلاف دولار أمريكي، إضافة إلى المخاطر التي تعرض لها خلال الرحلة: "نجوت من الموت المحتم مرتين، إحداها عند القفز من الجدار التركي حيث أطلق علينا حرس الحدود (الجاندرما) النار، وبعدها في عرض البحر غرقاً في طريقنا لقبرص" حسب كلام مهند.

ولكن بعد الرحلة الشاقة تمكن مهند من تأمين عمل بأجر جيد في مجال البناء في قبرص، يوضح مهند: "يمكنني خلال بضع سنوات أن أسدد ديوني، وأن أجمع مبلغاً يمكنني من الاستعداد للزواج أو افتتاح مشروع"، وأردف: "لم تكن هذه الفرص لتتاح لي لو بقيت في إدلب".

أما "أبو محمد" وهو سائق سيارة في أعزاز بريف حلب، فيقول إنه ينقل يومياً عشرات الشباب إلى الحدود التركية، من الذين يريدون السفر لتركيا عن طريق المهربين. ويوضح أبو محمد: "سعيد الحظ من يستطيع الدخول، حيث تبوء عشرات محاولات التهريب بالفشل، ولكن الشباب يصرّون على تكرار التجربة رغم مخاطرها".

وعلى ما يبدو، لا يفكر معظم الشباب المهاجرين بالعودة إلى سوريا في الوقت القريب، بل يفرون عنها محاولين الابتعاد نحو مستقبل باعتقادهم أنه سيكون أفضل.

القبّار..
ملاذ نازحين لكسب الرزق في إدلب

دارين الحسن - إدلب

تتوجه أم أحمد (35 عاماً) مع طلوع الفجر برفقة ثلاثة من أولادها إلى الجبال والكروم والأراضي الزراعية القريبة من مخيم بلدة كللي الذي تقطن به، بهدف جمع أزهار نبتة القبّار (الشفلح) وبيعها والاستفادة من ثمنها في تأمين المصروف اليومي لأسرتها، باعتبارها المعيلة لأولادها الخمسة بعد وفاة زوجها جراء القصف على المنطقة منذ ثلاث سنوات، حيث تجد في هذه النبتة مصدر رزق يكفيهم العوز طوال فصل الصيف.

تعمل أم أحمد في جمع القبّار نظراً لغياب الفرص البديلة التي تساعدها على تلبية احتياجات أولادها ومستلزمات المعيشة، وعن عملها تقول: "هو نبات من خيرات الطبيعة، وليس مملوكاً لأحد، لذلك نعتبر العثور على نبتة مليئة بالثمار بمثابة كنز بالنسبة لنا وكفيل بإدخال السرور إلى نفوسنا، فنبذل قصارى جهدنا في جمع أكثر ما يمكن، وإنهاء العمل قبل أن يشتد علينا الحر".

وتضيف: "تمتد فترة تزهير القبّار لحوالي ستة أشهر، بدءاً من شهر أيار، حيث نخرج يومياً منذ الصباح الباكر، ونستريح في أوج الحر عند الظهيرة، ثم نعود للعمل في فترة المساء حتى غياب الشمس، ونبيع ما نجمعه للمراكز المعتمدة المنتشرة في المنطقة".

وتؤكد أن العمل صعب ومتعب، حيث تتسبب قسوة أشواك النبتة بإصابة أصابع أيديهم بجروح وتقرحات، إلى جانب التعرض لمخاطر وجود الأفاعي والحشرات بين شجيراتها، والمشي لمسافات بعيدة بحثاً عن النبتة، لكنها توضح: "العمل والتعب لتحصيل لقمة العيش بكرامة أفضل من الحاجة واستجداء الآخرين".

الشفلح نبات شوكي له فروع عديدة مغطاة بالأشواك القاسية، ثماره خضراء اللون، وينبت بشكل طبيعي في كافة مناطق شمال غرب سوريا، ويشكل مصدر دخل لأشخاص من ذوي الدخل المحدود في إدلب بسبب ندرة فرص العمل، وخسارة الكثيرين لأرزاقهم في ظل الحرب والنزوح والتهجير.

كما يتخذ الكثير من الأطفال من جني الشفلح عملاً لهم، مستغلين فترة عطلة المدارس خلال فصل الصيف، لمساعدة أسرهم في تأمين مصروف المنزل، أو ادخار بعض النقود لشراء الدفاتر والأقلام وملابس جديدة للمدرسة.

الطفل أسامة الحسون (10 سنوات) نزح مع أسرته من مدينة سراقب إلى مخيم قرية كفريحمول بريف إدلب الشمالي، يعمل في جمع ثمار القبار، "أخرج مع أطفال المخيم بشكل يومي للعمل في جمع حبيبات الشفلح، وأتمكن يومياً من جمع 2 كيلو غرام، لأساعد أسرتي في تأمين ثمن الخبز، وفي نهاية موسم القطاف أجمع ثمن احتياجات المدرسة من عملي أيضاً" يقول أسامة.

ولا يخلو العمل بجمع أزرار القبار من المخاطر في إدلب بسبب التعرض لضربات الشمس، والقصف المستمر، حيث قتل عدد من الأطفال وأصيب آخرون في أوقات سابقة جنوب إدلب أثناء عملهم، بسبب انفجار مخلّفات قنابل عنقودية، أو من خلال استهدافهم بشكل مباشر من قبل حواجز نظام الأسد.

ومؤخراً أصيب 3 أطفال بجروح متفاوتة الخطورة جراء انفجار لغم أرضي من مخلفات الحرب بالقرب من بلدة النيرب شرق مدينة إدلب، أثناء عملهم في قطف أزهار الشفلح، بتاريخ 18 حزيران/ يوليو من العام الحالي.

أحمد العموري (44 عاماً) من مدينة إدلب، صاحب مركز لشراء القبار يتحدث عن عمله: "كانت نبتة القبار تشكل عبئاً على المزارعين الذين يقومون باقتلاعها من أراضيهم والتخلص منها، ولكن بعد معرفة فوائدها وزيادة الإقبال عليها، باتت تشكل مصدر رزق للكثيرين في ظل الفقر وشح فرص العمل".

ويضيف: "أقوم بشراء أزهار نبتة القبّار من الأشخاص الذين يعملون في جمعها، ثم أقوم بغربلتها من الأوراق وتنظيفها، وأحفظها في براميل خاصة بإضافة محلول الماء والملح إليها، حتى يأتي التجار المعتَمَدون ويستلمونه مني ثم يقومون بتعليبه أو تصديره".

أما بالنسبة لسعر القُبّار، فيشير العموري أنه كلّما كبُر حجم الحبة انخفض السعر، ويصل سعر الكيلو غرام الواحد إلى حوالي دولارين.

ويُستخدم القبار في صنع بعض أنواع الأدوية، وقسم آخر لصناعة المخللات، وصناعة التوابل لبعض الأطعمة من أجل إضفاء نكهة طيبة عليها، كما تُعتبر أزهار القبّار من أفضل الأزهار التي يلجأ إليها النحل لإنتاج أفضل أنواع العسل.

إبراهيم الدياب (45 عاماً) طبيب أعشاب من بلدة كفرلوسين بريف إدلب الشمالي، يشرح فوائد هذه النبتة: "يعتبر نبات القبّار في مقدمة النباتات الطبية التي يجب أن يداوم عليها من يحرص على الاستشفاء من أمراض الروماتيزم وارتفاع نسبة السكر في الدم والاضطرابات الكبدية".

ويضيف: "القبّار بمثابة صيدلية طبيّة علاجية لعدد كبير من الأمراض، منها فقر الدم وتنظيف الكلى وتصلّب الشرايين واضطرابات الجهاز الهضمي، كما أنها تنشّط وظيفة الطحال، وتساعد البراعم الزهرية في الوقاية من الماء البيضاء في العين، كما أن مستقطر جذور القبار يستخدم في صناعة وتكوين المستحضرات التجميلية، ويفيد في معالجة التهابات الجلد والحساسية".

حرارة الشمس الحارقة ومخاطر القصف لم تمنع الكثير من أهالي إدلب من التوجه إلى البراري والكروم، لجمع ثمار نبتة القبار، بهدف تحصيل لقمة العيش التي صعبتها الحرب.

ارتفاع الرسوم السنوية في جامعة حلب الحرة لا تناسب الظروف المعيشية.. وترهق الطلبة

حسين الخطيب

أثار ارتفاع الرسوم السنوية الجامعية في جامعة حلب في المناطق المحررة جدلاً واسعاً، وموجةَ غضب شعبي بين أوساط الطلاب في ريف حلب الشمالي وإدلب، في ظل ظروف معيشية ومادية صعبة تعاني منها فئة عظمى من الطلبة، إلى جانب انعدام الاستقرار لأن العديد من الطلبة يقيمون في منازل مستأجرة مع أسرهم، وبعضهم يعيش في مخيمات على الحدود السورية.

أصدرت جامعة حلب في المناطق المحررة الجمعة 27 آب/ أغسطس الماضي، مفاضلة العام الدراسي القادم، حيث أعلن مجلس التعليم العالي في الحكومة السورية المؤقتة عن بدء التسجيل في 29 آب/ أغسطس، والانتساب لإحدى الكليات والمعاهد في جامعة حلب في المناطق المحررة.

وحددت الجامعة، نوع الشهادات التعليمة التي يمكن قبولها، وفقاً لعام صدورها، حيث يستطيع الحاصلون على شهادة الثانوية العامة خلال العام الدراسي الأخير الدخول، وفقاً للرسم السنوي العام، بينما الشهادات الصادرة خلال الأعوام الماضية ينتسبون للجامعة وفقاً للرسم الموازي.

ذكرت الجامعة عدة شروط لقبول الطلبة في إحدى الكليات والمعاهد، ولوحظ ارتفاع في الرسوم السنوية التي أقرها مجلس التعليم العالي، بفارق عن الرسوم السنوية للأعوام الماضية، الأمر الذي تسبب بحالة سخط شعبي.

وتبلغ الرسوم السنوية كليات الهندسات، 250 دولار، أما الموازي يبلغ 400 دولار، بينما كلية الإعلام، يبلغ رسمها السنوي العام، 250 دولار، و400 للموازي، أما كليات التربية والحقوق والاقتصاد، يبلغ الرسم السنوي العام 200 دولار، و300 للموازي، وكلية التربية قسم معلم صف، والشريعة، 175 دولار أمريكي للرسم العام، و275 للموازي.

أما كليات العلوم والعلوم السياسية والآداب، 150 دولار أمريكي للرسم العام، و250 دولار للموازي. بينما وصل رسم المعاهد التقنية إلى 150 دولار للرسم العام و200 دولار للموازي.

علي المحمود، طالب حاصل على الشهادة الثانوية العامة في التعليم العام قبل عامين قال لمجلة طلعنا على الحرية إنه لن يستطيع الالتحاق بجامعة حلب، وينتظر إصدار مفاضلة الجامعات الأخرى، فهو لديه رغبة في دخول كلية التربية معلم صف، ويحتاج الرسم السنوي إلى 275 دولار أمريكي. وأضاف: "ليس لدي قدرة مادية لتغطية هذه الرسوم، لأنني أعمل من أجل تغطية نفقات دراستي، ووالدي لا يستطيع أن يؤمن مصروفي الجامعي إلى جانب مصروف العائلة، ويبدو أنني سأحتاج إلى دفع 100 دولار فوق الرسم العام لأن شهادتي صادرة قبل عامين!".

وبررت جامعة حلب قرار دخول أصحاب الشهادات الصادرة خلال الأعوام الدراسية الماضية ما قبل العام الأخير، بأن الجامعة لم تعد تستوعب كامل المتقدمين وهذه المفاضلة للحاصلين على

الشهادة الثانوية حديثاً، أما الشهادات القديمة فإن فرصتها كانت خلال عام صدورها، ويمكن متابعة الدراسة عبر التعليم الموازي.

من جهتها فاطمة محمد، طالبة أنهت الثانوية العامة خلال العام الدراسي السابق، تريد الالتحاق بكليات الهندسة قالت: إن "الرسوم الجامعية جيدة ومناسبة، لأن المعاهد الخاصة التي تدرس منهاج البكلوريا لعام واحد تأخذ أكثر من 400 دولار أمريكي، وهذا المثال يطبق على العديد من المعاهد وحتى الروضات وغيرها". وأضافت: "قد لا تتناسب مع الكثير، لكن من المؤكد أن الدراسة الجامعية مكلفة في مختلف دول العالم، ويحتاج الطالب فيها لدفع الرسوم وتكاليف دراسية أخرى، على الرغم من اختلاف الظروف".

ومنحت الجامعة عدداً من الإعفاءات والاستثناءات، منها تخفيض الرسوم السنوية بنسبة 50% لأبناء الشهداء وأبناء المعتقلين، وذوي الإعاقة، بينما خفضت الرسوم بنسبة 25% إذا كان الزوج أو الأب من ذوي الإعاقة، وكذلك أبناء وزوجات الموظفين والإداريين في الجامعة، وأيضاً إعفاء الإخوة الأشقاء، وبلغ عدد المستفيدين من الإعفاءات 1270 طالب وطالبة.

وعلقت بشرى محمد على ارتفاع الأقساط السنوية بقولها: "إن تحقيق التوازن في أعداد المقبولين بين الفروع المختلفة يتم ضبطه بالمفاضلة بين درجات الطلاب، ويتم زيادة درجة الحد الأدنى للقبول في الفرع الذي يلقى إقبالاً شديداً، وتخفيض درجة الحد الأدنى للقبول في الفروع التي لا يتم الإقبال عليها فالدرجات هي المعيار وليست الرسوم".

وقال أحد الطلاب رافضاً الكشف عن اسمه: "يجب عدم التمييز وإنما تكافؤ الفرص والمساواة في المعاملة وحصول الجميع على التعليم، لأنه حق للجميع، لا سيما أن الرسوم المنخفضة أتاحت لمختلف طبقات المجتمع الحصول على التعليم خلال الفترات السابقة، أما الآن هناك الكثير سيحرمون من متابعة تحصيلهم العلمي".

رئيس جامعة حلب الحرة، الدكتور عبد العزيز الدغيم قال لمجلة طلعنا على الحرية: "تتراوح زيادة الرسوم بين 15 و20% فقط"، موضحاً أسباب ارتفاعها، أن: "هناك مصاريف تشغيلية، وتوسعة في القاعات والأبنية التي تحتاجها الجامعة، وتم رفع الرسوم لتغطيتها" ويتابع د. الدغيم: "لدينا الآن بناء جديد يتم العمل على تنفيذه، يتسع لأكثر من ألف طالب، كيف يمكن تغطية مصاريف البناء مع غياب الدعم؟"؛ مشيراً إلى أن زيادة الرسوم "ليست لزيادة رواتب المدرسين والموظفين، كما يعتقد العديد من الطلاب".

وأكد: "أن الجامعة لا تتلقى أي دعم رسمي كامل من جهة معينة، إلا أنه يقتصر على دعم تشغيلي لا يذكر من بعض المنظمات، لذلك نعتمد على موارد الجامعة بشكل رئيسي وهي رسوم الطلاب".

وتابع د. الدغيم: "إن رئاسة الجامعة على اطلاع تام بالظروف المعيشية والمادية وغيرها التي يمر بها الأهالي. والجميع من كوادر تدريسية وإدارية تركوا منازلهم وهُجِّروا ويعيشون الحال ذاته، لكن لا يمكن إغفال الجانب التعليمي والحاجة الملحّة لتغطية مصاريف ما تقوم بها الجامعة، لاستيعاب كل الطلبة".

الاسم المُستعار هُويّةٌ للعبور إلى عالم الكتابة

ياسمين نهار

إنّ التّخفي وراء اسم مُستعار ظاهرة عرفها الأدب منذ القديم؛ حيث يختار الأديب اسماً جديداً يُخفي شخصيّته الحقيقيّة، ويمنحه هوّية جديدة.

وهنا يحقّ لنا أن نتساءل: لماذا يتّخذ الأديب أو المفكّر اسماً مُستعاراً؟

منذ القِدم.. منذ قتل سقراط؛ لأنّه طالب باستقلال الفكر حاربت السُّلطة الكتّاب الخارجين عمّا ألفه النّاس، واعتادوا عليه.

ولأننا نعيش في مجتمع تطغى عليه نزعة التّقليد، وتُكبَت فيه الحريّات اتّخذ بعض الأدباء والمفكّرين اسماً مُستعاراً، هو بمثابة قناع؛ يمنحهم حريّة التّعبير عن أنفسهم، أو ربّما يكون وسيلة لتقمّص شخصيّة جديدة تعبّر عن المحظور من الآراء والأفكار بعيداً عن أعين الرّقابة.

ذلك أنّ السُّلطة على اختلاف أشكالها تحارب الكتابة الإبداعيّة؛ لأنّ الكتابة تهدف إلى بناء الإنسان الحضاريّ الحرّ، بينما السُّلطة تهدف إلى قهر الإنسان وصهره في بوتقة الجماعة الخانعة.

لذا كان هاجس الأدباء والمفكّرين البحث عن فضاء يتنفّسون فيه بحريّة، ويعبّرون من خلاله عن آرائهم بعيداً عن القمع والرّقابة.

وتجدر الإشارة هنا إلى تاريخنا الحافل بأسماء سلاطين سجنوا الأدباء والمفكّرين، وأذاقوهم مرارة السّياط.

وقد قُتل الكثيرون ظلماً وعدواناً بإيعاز من سلطان تولّى مهمّة محاسبة العباد على الأرض، وقَمْع الأقلام الحرّة ليلتحق أصحابها بقائمة من شهداء الكلمة، قائمةٍ طويلةٍ يُعدُّ سقراط الرّمز الأوّل لحريّة الفكر فيها.

وقد يكون من الدّال بحقّ على ظلم وجور الحكّام حادثة قتل علم من أعلام الفكر والأدب والتّرجمة في أدبنا وهو عبد الله بن المقفّع، إذ عُوقب بتقطيع جسده قطعةً قطعةً وأُلقي به في النّار لأنّه أرسل كتابه "رسالة الصّحابة " إلى الخليفة المنصور نصحه فيه بحُسن اختيار معاونيه وحُسن سياسة الرّعيّة.

ويمكننا أن نتوقّف أيضاً عند تجربة شاعر يعدّ من أبرز شعراء قصيدة النّثر، أعلن تمرّده على الواقع من خلال قصائد خرجت على التّقليد الشّعريّ السّائد هو الشّاعر "محمّد الماغوط"،

وشاعرنا خبر الفقر وتجربة السّجن في عمر مبكر، لأنّه عاش في وطن يجلد المبدعين بسياطه وقسوة العيش فيه.

كلّ هذا دفعه إلى استبطان أعماقه، والاعتصام بمخيّلته التي تدفّقت صوراً جديدةً غريبةً استطاعت أن تترجم معاناته ومعاناة من حوله بنبرة لا تخلو من السّخرية وبلغة تستحضر اليوميّ وتشحنه بطاقات شعريّة عالية.

من يدرس حياة الماغوط يرَ أنّه من الذين سبحوا ضدّ التّيار في الكتابة وفي الحياة، وقد وقّع بعض الكتابات في بداياته باسم "سومر" خوفاً من السّجن "فبقدر ما تكون الكلمة في الحلم طريقاً إلى الحريّة، نجدها في الواقع طريقاً إلى السّجن" هذا ما قالته زوجته الشّاعرة سنيّة صالح عن شاعر رأى الشّعر أداةً من أدوات التّغيير.

ولا يلبث القارئ طويلاً حتّى يكتشف أنّ الحريّة هي هاجس الماغوط الأسمى في بلاد لم يلقَ فيها إلا الألم والغدر فيقول:

"لكنّني لا أستطيع أن أتنهّد بحريّة
أن أُرفرف بك فوق الظّلام والحرير
إنّهم يكرهونني يا حبيبة
ويتسرّبون إلى قلبي كالأظافر"

والحقيقة أنّ أشكال القمع السّابقة، تُورث بيئة اجتماعيّة متخلّفة؛ ترفض تعليم المرأة وخروجها من المنزل إلّا أنّ إرادة التّحدي لدى بعض السّيّدات دفعتهن إلى مواجهة هذا القمع الاجتماعيّ الذي يحرم المرأة من أبسط حقوقها وهو حقّ التّعليم وخير دليل على ذلك الدّكتورة عائشة عبد الرّحمن التي اتّخذت لنفسها لقب "بنت الشّاطئ" وبنت الشّاطئ لم تستطع الكتابة أو النّشر باسمها الصّريح؛ لأنّها ولدت في بيئة تحرم الفتاة أن تتعلّم وتمنعها من الخروج من المنزل.

أخذت الدّكتورة بنت الشّاطئ تنشر مؤلّفاتها بهذا الاسم حتّى صار هذا الاسم/ا لقناع يدلّ على سيّدة من سيّدات النّهضة العلميّة والفكريّة والأدبيّة في عالمنا العربيّ والإسلاميّ.

ولا بدّ من أن أذكر هنا تجربة شاعرة سعودية لم تتجرّأ على الجهر باسمها الصّريح، رمزت لنفسها بـ"غجريّة الرّيف" أو "غيداء المنفى" ليخفي هذا الاسم/ القناع شاعرة جميلة نشرت قصائدها على مدار عامين في جريدة الجزيرة السعوديّة، ثمّ توقّفت عن النّشر. وقد تحدّث عنها النّاقد عبد الله الغذّامي في كتابه "تشريح النّصّ" تقول في قصيدة عنوانها: "تداعيات عطشى إلى عنوان ما": "في دمي

امرأة خائفة
ترتعد كاللقيطة في مدن الأولياء
وجهها يحمل الغيم..
وجهي براري ظمأ
نخلتان على صدرها.. والعيون مطر
أربط الأمتعة
فأين الموانئ
أين المحطّات؟
والطّرق.. الآن ضائعة.
والمدينة.. قديسة تنتحر.
كلّ أغنية عذّبتني وعذّبتها
خلعت فصولي عليها.. ومارست.
فيها العقوق الأثيم.
أضاءت عناقيدها لحظة.. ورمتني
أنا امرأة عشقها عاشرته العصافير
.. واجتاحه السّيل.
.. نازلته سيوف القبائل!!
قالت لها الشّمس.. يوماً.
استمطرت مدن الثأر
ولتبحثي عن عيون رحيمة"

تعبّر الشّاعرة في هذه القصيدة عن خوفها وما تعانيه من حزن وضياع "في مدن الأولياء"، وحين تبحث عن ملجأ آخر وهو الشّعر يُبعَث النّور فيه لحظةً ثمّ ما يلبث أن يرميها لأنّها خرجت عمّا تعارف عليه الآخرون، و"سيوف القبائل" تحارب عشقها لأنّها أرادته أن يحلّق دون قيود ويكون رفيقاً للطير.

إنّ هذا النّصّ وأمثاله يعلّل احتجاب المبدعات وراء اسم مُستعار، يستعنّ به للكشف عن الواقع المقموع المكبوت الذي يعشنَ فيه.

وفي الختام أقول: توقفت في هذا المقال عند أهمّ سببين يمكن أن يمنعا الأدباء والمفكّرين من الكتابة بأسمائهم الصّريحة في بلادنا العربيّة وهما: الاستبداد السّياسيّ والاضطهاد الاجتماعيّ، ومع ذلك يبقى الحلم مستمرّاً بأوطان تحمي مبدعيها وتكفل لهم حرّية التّعبير والعيش الكريم.

حين تقطع النساء الصمت

بشرى البشوات

يقال بأن ليلى الأخيلية كانت قادمة من سفر برفقة زوجها، أرادت أن تتوقف عند قبر توبة لتسلم عليه، حاول الزوج منعها لكنها أصرّت قائلة: "والله لا أبرح حتى أسلم على توبة، فتركها زوجها تفعل".

لما دنت من القبر وقفت أمامه قائلة: "السلام عليك يا توبة"، ثم قالت لمن معها: "ما عرفت له كذبة قط"!

فلما سألوها عن ذلك، قالت: "أليس هو القائل:

ولو أن ليلى الأخيلية سلّمت
عليّ ودوني تربة وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو صاح
إليها صدى من جانب القبر صائح

فما له لم يسلم عليّ كما قال؟"!

وكانت قرب القبر بومة فلما رأت الهودج، فزعت وطارت في وجه البعير الذي يحمل ليلى مما أدى إلى سقوطها ودق عنقها. فكانت نهايتها ودفنت بجانب قبر توبة.

ماتت ليلى الشاعرة والحبيبة، التي كانت تسافر في الصحراء بعد أن عاشت طويلاً بذاكرة الحبّ.

الذاكرة الثابتة التي لم تتبدل بأخرى بديلة بعد زواجَين. حين اقتضت شؤون الصحراء ألا تتزوج ممن عشقت!

عاشت برعب من الوجود بعيداً عن توبة، ضمن شرط الجماعة التي رفضت هذا الحب ووقفت في وجهه.

قرأتُ عن قصة ليلى الأخيلية وقصة توبة قبل سنوات، وقرأت أيضاً الكثير من أشعار ليلى التي يقال بأن الفرزدق قد فضّل شعرها على نفسه.

عاشت ليلى طويلاً أغلب عمرها في صدر الإسلام، غير أنها نهلت من شعر الجاهلية. باعتقادي بأن ذلك يعود إلى أن الجاهلية كانت تطلق سراح مشاعرها ورغباتها وتكسّر من تلك الحدود حولها.

سمعت كذلك بقصة ريجين أولسن قبل سنوات وقد جاء اسمها مرتبطاً بالفيلسوف الدنماركي سورين كيركجارد أو Soren Kierkegaard وهو بالإضافة إلى ذلك شاعر وناقد ومؤلف ديني، وقد كتب نصوصاً نقدية حول الدّين المنظم والأخلاق وعلم النفس والمسيحيّة.

حين التقى كيركجارد بروجين أولسن كانت بعد في الخامسة عشرة من العمر وكان ذلك سنة 1837. وتقدم لخطبتها سنة 1840 لكنه بعد أقل من عام أعاد خاتمها، قائلاً بأنه لا يستطيع إسعاد الفتاة دون إيضاح السبب!

ومع أن الإثنين كانا غارقين في الحب، إلا أنه لم يستطع إتمام الزواج، وقد أشار كيركجارد في يومياته إلى أن سوداويته تجعله غير مناسب للزواج، لذلك آثر أن يبتعد عنها.

طلب إليها أن تحرره من ذلك القيد ففعلت.

ثم تزوجت معلمها في صف اللاهوت فردريك شليغل سنة 1847، وعندما حصل زوجها على وظيفة حاكم محلي في إحدى المستعمرات الدنماركية وقرر السفر إلى هناك، قررت روجين بنفس اليوم أن تذهب في جولة صغيرة وتلقي التحية ربما لأخر مرة على كيركجارد.

كان قد مضى أربعة عشر عاماً على إنهاء الخطوبة، على فض الطرقات التي كانت تصل بينهما.

أكثر من خمسة عشر عاماً على تلك المرة التي رآها فيها في إحدى الحفلات الموسيقية ووقعت في قلبه.

قام بإخراجها من حياتها الوادعة، حملها معه إلى عوالمه الأوسع، فأعجبت بشاعريته الفذة وعبق حديثه، ثم فجأة قرر بأنه لن يمضي أكثر.

تصف روجين لقائها به بعد تلك السنوات، "أريد أن ألخص كل ما فكرت به خلال أربعة عشر عاماً، أريد أن أقول: "بأنني لست غاضبة، ولا زلت أودّه، وعليه أن يعرف أيضاً بأنني قلقة عليه، لكنني أريد أولاً وأخيراً أن أقطع الصمت!

سأقترب منه جداً وأقول له بصمت واطىء: الله يباركك

آمل أن كل شيء سيمضي بخير معك".

نظر إلي بفزع، تنحى بأدب ثم توقف متردداً، تراجع خطوة للوراء ورفع قبعته قليلاً، لكنه لم يقل شيئاً، ثم استدار بعجلة، لدي شعور بأنه سيهرب".

في نفس العام يموت كيركجارد في إحدى المستشفيات في كوبنهاجن، ويترك بعد موته وصية يترك فيها كل إرثه المادي والفكري لروجين التي يقال بأنها ظلت حتى أواخر حياتها، تبدأ كلامها بالحديث عن زوجها الراحل شليغل والثناء عليه، ولكنها كانت تنهيها دوماً بالحديث عن سورين كيركجارد، حبيب فتوتها وشبابها.

قامت كل من ليلى وروجين بتخطي الحاجز، حاجز الكآبة. حاجز الموت بالحبّ، خَلّدت إحداهن حبيباً، وخُلّدت الأخرى من قِبل حبيب.

تزوجت إحداهن مرتين، وتزوجت الثانية مرة.

عاشت المرأتين حبّاً لم يكتمل، تعذبتا بصمت ربما وأكملتا الحياة.

كتبت ليلى الشعر في الحبيب، وقفت بين يدي الملوك والأمراء ولم تخف أبدًا هذا التعلق والوله.

عاشت روجين ملتصقة بذكرى كيركجارد؛ فما أن تُذكر نصوصه ونظرياته وفلسفته في الحبّ والدين حتى يظهر اسم روجين متردداً معه بذات السطر، ملتصقاً بها.

لم يكن كيركجارد على خطأ عندما كتب أنه حبيبها الأبدي.

فقد كتب لاحقاً في أوراقه الخاصة قبل وفاته: "كانت هي الحبيبة، ويمكن اعتبار عملي الفكري أيضاً كأثر تذكاري لتمجيدها وتقديرها، سآخذها معي إلى التاريخ".